

اعرف محمدًا



شيماء ربيع

السيرة النبوية

إعرف

محمدًا ﷺ

المقدمة

الحمد لله الرحيم الغفار الكريم القهار مقلب القلوب والابصار
عالم الجهر والاسرار. أحمده حمداً دائماً بالعشي والابكار وأشهد
ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تنجي قائلها من عذاب
النار وأشهد ان محمدأ نبيه المختار صلي الله عليه وعلى اهله
وازواجه وأصحابه الجديرين بالتعظيم والإكبار صلاة دائمة
باقية بقاء الليل والنهار

اما بعد.....

عندما تحب شخص تود لو أنك تعرف عنه كل شيء وأنا والله
والذي نفسي بيده أحب محمدأ والله أحبه جداً وأحببت أن
أعرف عنه كل شيء وأنتم حاضرون معى وأنتم تقرؤن هذه
السطور الذي سأكتبها بدمي قبل قلمي وجوارحي ودموع
شوقي وتعيشون معها لأنكم ترون كل شيء وتشعرون بكل
حرف وكل كلمة لأنكم حاضرون في زمانهم وتشاهدون كل
شيء، ماذا لو أتتك رسالة من شخص مهم هل ستهم القراءتها
أم لا، وهذه رسالة من ربك لتتعرف على حبيبه اكتر فهل
ستهم بها؟
إقرأ بقلبك....

وهيا لنعيش مع حبيب قلوبنا ﷺ

أسماؤه

محمد، أحمد، محمود، مصطفى، طه، أبو القاسم، الأمين، الهدى،
الصادق، الماحي (يمحو به الكفر)، الحاشر يقدم الناس بالحشر،
العاقب، آخر الأنبياء، نبي الرحمة، نبي التوبة، نبي الملاحم الحروب،
المقفي بمعنى العاقب، الشاهد، المبشر، النذير، الضحوك، القتال،
المتوكل، الفاتح، الخاتم، الرسول، النبي، الأمي، القائم المعطاء للخير،
المدثر، المزمل، الشافع..... هذه بعض منها

نسبه

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام

أمه

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن
لؤي بن غالب بن فهر بن مالك
وكلاب هو الجد الخامس للرسول من جهة الأب

حمله

كانت آمنة تقول ما شعرت أني حملت ولا وجدت له سقلا كما يجد النساء

مولده

كانت ولادته فجر يوم الاثنين: الثاني عشر من ربيع الأول الموافق
لليوم العشرين من شهر أبريل

رضاعه

أول من أرضعته أمه السيدة آمنة بنت وهب ثم ثوبية الأسلمية
جارية عمه أبي لهب بلبن ابن لها وكانت قد ارضعت قبله حمزه
رضي الله عنه ثم جاءت حليمة السعدية وأخذته عندها لرضاعته

وفاة والده

خرج والد عبد الله إلى الشام في تجارة مع جماعة من قريش فلما
رجعوا مروا بالمدينه وعبدالله مريض فقال أتخلف عند أخواлиبني
عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا ثم توفي بالمدينة وعمره
(٢٥) سنة وكان ميراثه خمسة أجمال وقطعة غنم فورث ذلك رسول
الله ﷺ حين توفي عبد الله كان لايزال محمداً في بطن أمه

وفاة والدته

ذهبت أمه به إلى المدينة وعمره ست سنين إلى أخواله بني النجار
تزورهم ومعها أم أيمن تحضه فأقامت عندهم شهراً ثم رجعت وفي
طريقها تعبت فتوفيت (بالأبواء)

صفاته

كان وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربعة، ليس بالطوبل ولا بالقصير، أزهر اللون، اي أبيض
بياض مشرياً بحمرة، شديد سواد العينين، رجل الشعر ليس بالسبط
ولا الجعد، يضرب شعره منكبيه. قال أنس مامست حريراً ألين من
كف رسول الله وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عظيم الفم طويل شق العينين، مدور الوجه،
غليظ الاسابع، واسع الجبين، خشن اللحية، سهل الخدين، عريض
الصدر، أشعر الذراعين والمنكبين،

من معجزاته

القرآن - الإسراء والمعراج - حنين جزع النخلة - تفجير الماء من بين
أصابعه - الأخبار بالأمور الغيبية - تسليم الحجر والشجر عليه -
الأخبار بالأمور المستقبلية - انشقاق القمر - تكثير الطعام والشراب
ببركته - علاجه لأمراض الصحابة بدعائه ومسحه بيده - الاستجابة
لدعائة - قتال الملائكة معه

أَبْناؤه وَسَلَامُ الذِّكْر

عبدالله - إبراهيم - القاسم

أَبْناؤه وَسَلَامُ الْإِنْسَان

(زينب) زوجها أبو العاص بن الربيع أبناءها علي، أمامة
 (رقية) زوجها الأول عتبة بن أبي ل heb زوجها الثاني عثمان بن عفان
 رضي الله عنه أبناءها عبدالله
 (أم كلثوم) زوجها الأول عتبة بن أبي ل heb زوجها الثاني عثمان بن
 عفان رضي الله عنه
 (فاطمة) زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبناءها الحسن،
 الحسين، محسن، أم كلثوم، زينب.

أَعْمَامُه وَسَلَامُ

الزبير - عبد الكعبه - الغيدق - أبو طالب - العباس - أبو ل heb -
 ضرار - قثم - الحارث - حمزة - المقوم - حجل.

ولد في مكة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول - توفي في المدينة يوم
 الاثنين ١٢ ربيع الأول وعمره ٦٣ سنة

لذهب إلى ما قبل ولادته

أحوال العرب قبل الإسلام

كان العرب في شبه الجزيرة العربية قبلبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يعبدون الأصنام من دون الله، ويقدمون لها القرابين، ويיסجدون لها، ويتوسلون بها، وهي أحجار لا تضر ولا تنفع، وكان حول الكعبة ثلاثة وستون صنفاً.

ومن عجيب أمرهم أن أحدهم كان يشتري العجوة، ويصنع منها صنفاً، ثم يعده ويسبح له، ويسأله أن يحجب عنه الشر ويجلب له الخير، فإذا شعر بالجوع أكل إلهه!! ثم يأخذ كأساً من الخمر، يشربها حتى يفقد وعيه، وفي ذلك الزمان كانت تحدث أشياء غريبة وعجيبة، فالناس يطوفون عرايا حول الكعبة، وقد تجردوا من ملابسهم بلا حياء، يصفقون ويصفررون ويصيحون بلا نظام، وقد وصف الله -عز وجل- صلاتهم فقال: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون} [الأنفال:35]. وكانت الحروب تقوم بينهم لآتھ الأسباب، وتستمر مشتعلة أعواماً طويلاً فهذا رجلان يقتتلان، فيجتمع الناس حولهما، وتناصر كل قبيلة صاحبها، لم يسألوا عن الظالم ولا عن المظلوم، وتقوم الحرب في لمح البصر، ولا تنتهي حتى يموت الرجال،

وانتشرت بينهم العادات السيئة مثل: شرب الخمر، وقطع الطرق والزنا. وكانت بعض القبائل تهين المرأة، وينظرون إليها باحتقار، فهي في اعتقادهم عار كبير عليهم أن يتخلصوا منها، فكان الرجل منهم إذا ولدت له أنثى؛ حزن حزناً شديداً. قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ شَوْءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْفِسْكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أُمٌّ يَدْعُسُهُ فِي الثَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل: 58-59] وقد يصل به الأمر إلى أن يدفنها وهي حية، وهي العادة التي عرفت عندهم بوأد البنات.

فهذا رجل يحمل طفلته ويسيير بها إلى الصحراء فوق الرمال المحرق، ويحفر حفرة ثم يضع ابنته فيها وهي حية، ولا تستطيع الطفلة البريئة أن تدافع عن نفسها؛ بل تناديه: أبتاه .. أبتاه .. فلا يرحم براءتها ولا ضعفها، ولا يستجيب لندائها.. بل يهيل عليها الرمال، ثم يمشي رافعاً رأسه كأنه لم يفعل شيئاً!! قال تعالى: {وَإِذَا المُوَءُودَةَ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التوكير: 7-8] وليس هذا الأمر عاماً بين العرب، فقد كانت بعض القبائل تمنع وأد البنات.

وكان الظلم ينتشر في المجتمع؛ فالقوى لا يرحم الضعيف، والغني لا يعطف على الفقير، بل يُسخره لخدمته، وإن أقرضه مالاً؛ فإنه يقرضه بالربا، فإذا اقترض الفقير ديناً؛ يرده دينارين، فيزداد فقراً، ويزداد الغني ثراءً، وكانت القبائل متفرقة، لكل قبيلة رئيس، وهم لا يخضعون لقانون منظم، ومع كل هذا الجهل والظلم في ذلك العصر المسمى بالعصر الجاهلي،

كانت هناك بعض الصفات الطيبة والنبيلة؛ كـأكرام الضيف، فإذا جاء ضيف على أحدهم بذل له كل ما عنده، ولم يبخّل عليه بشيء، فها هو ذا حاتم الطائي لم يجد ما يطعم به ضيوفه؛ فذبح فرسه - وقد كانوا يأكلون لحم الخيل - وأطعهم قبل أن يأكل هو. وكانوا ينصرّون المستغيث فإذا نادى إنسان، وقال: إني مظلوم اجتمعوا حوله ورددوا إليه حقه، وقد حدث ذات مرة أن جاء رجل يستغيث، وينادي بأعلى صوته في زعماء قريش أن ينصروه على العاص بن وائل الذي اشتري منه بضاعته، ورفض أن يعطيه ثمنها؛ فتجمع زعماء قريش في دار عبدالله بن جدعان وتحالفوا على أن ينصرّوا المظلوم، ويأخذوا حقه من الظالم، وسموا ذلك الاتفاق حلف الفضول، وذهبوا إلى العاص بن وائل، وأخذوا منه ثمن البضاعة، وأعطوه لصاحبها.

وفي هذا المجتمع ولد محمد صلى الله عليه وسلم من أسرة كريمة المعدن، نبيلة النسب، جمعت ما في العرب من فضائل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم). [مسلم].

جده هاشم وحكاية الثريد

كان عمرو بن عبد مناف الجد الأكبر للرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً كريماً فقد حدث في عصره أن نزل القحط بالناس، فلم يجدوا ما يأكلون، وكادوا يموتون جوعاً، وببدأ كل إنسان يفكر في نجاة نفسه فقط، فالذي عنده طعام يحرض عليه ويحجبه عن الناس، فذهب عمرو إلى بيته وأخرج ما عنده من الطعام، وأخذ يهشم الثريد (أي: يكسر الخبز في المرق) لقومه ويطعمهم، فسموه (هاشماً): لأنَّه كريم يهشم ثريده للناس جميعاً.

وعندما صاق الرزق في مكة أراد هاشم أن يخفف عن أهلها، فسافر إلى الشام صيفاً، وإلى اليمن شتاءً؛ من أجل التجارة، فكان أول من علم الناس هاتين الرحلتين، وفي إحدى الرحلات، وبينما هاشم في طريقه للشام مر بيترب، فتزوج سلمى بنت عمرو إحدى نساءبني النجار، وتركها وهي حامل بابنه عبد المطلب لتلد بين أهلها الذين اشترطوا عليه ذلك عند زواجه منها.

جده عبدالمطلب وحكاية الكنز

كان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يسقي الحجاج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام فالتف الناس حوله، فكان زعيماً لهم وأشرفهم، وكان عبدالمطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها؛

لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يَغْد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقواه، فبدأ عبدالمطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منها، وبينما هما يحفران، تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبدالمطلب أنهم سيشكرونها، لكنه فوجئ بهم ينazuونه في امتلاك البئر، فشعر بالظلم والضعف لأنّه ليس له أبناء إلا الحارث، وهو لا يستطيع نصرته، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقرباً لله.

حكاية الأبناء العشرة

استجاب الله دعوة عبدالمطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبدالمطلب بالفريحة فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سنداً وعوناً، لكن فرحته لم تستمر طويلاً؛ فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحداً من أولاده، فكر عبدالمطلب طويلاً، ثم ترك الاختيار لله تعالى، فأجرى القرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح عبدالمطلب في حيرة؛ أيذبح ولده الحبيب أم يعصي الله ولا يفي بنذر؟ فاستشار قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة

فأعادها مرازاً، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة، فازداد قلق عبد المطلب، فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري القرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف عددها حتى تستقر القرعة على الإبل بدلاً من ولده، فعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة، واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداء لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله، وذبح له والده مائة ناقة فداء له، وازداد عبد المطلب حباً لولده، وغمراه بعطشه ورعايته.

أبوه عبد الله وزواجه المبارك من السيدة آمنة

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقاً، وأجملهم منظراً، وأراد والده عبد المطلب أن يزوجه، فاختار له زوجة صالحة، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساءبني زهرة، وسيدة نسائهم، والسيدة آمنة تلتقي في نسبها مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة، وتمر الأيام، ويخرج عبد الله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملاً ولحمة يعلمها الله، مات عبد الله قبل أن يرى ولده.

حكاية الفيل

وذات يوم، استيقظ أهل مكة على خبر أصحابهم بالفوز والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير، يتقدمه فيل ضخم، يريد هدم الكعبة حتى يتحول الحجيج إلى كنيسته التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالاً كثيرة، واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبدالمطلب الذي قال لأبرهه بلسان الواثق من نصر الله تعالى: (للبيت رب يحميه).

فازداد أبرهة عناداً، وأصرّ على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك، وأرسل الله طيوراً من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلبة، ألقى بها فوق رءوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم. قال تعالى: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل] وفي هذا العام ولد الرسول صلى الله عليه وسلم

مِيلَادُ الرَّسُولِ وَطْفُولَتِهِ

في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول الذي يوافق عام (571م) ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلاماً جميلاً، مشرق الوجه، وخرجت ثوبية الأسلمية خادمة أبي لهب - عم النبي صلى الله عليه وسلم - تهروء إلى سيدها أبي لهب، ووجهها ينطئ بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له بالبشرى، فتهلل وجهه، وقال لها من فرط سروره:

اذهبي فأنت حرة! وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملاً الوليد الجديد، ودخل به الكعبة مسروزاً كأنه يحمل على يديه كل نعيم الدنيا، وأخذ يضمها إلى صدره ويقبلها في حنان بالغ، ويشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.

حَكَايَةُ مَرْضَعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة؛ ليأخذن الأطفال الرضع إلى البادية حتى ينشئوا هناك أقوىاء فصحاء، قادرين على مواجهة أعباء الحياة، وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي؛ ليعطيها مالاً كثيراً، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه يتيم،

وأخذته السيدة حليمة السعدية لأنها لم تجد رضيغاً غيره، وعاش محمد صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سعد، فكان خيراً وبركة على حليمة وأهلها، حيث أخذت أرضهم بعد الجدب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.

حكاية شق الصدر

وفي بادية بني سعد وقعت حادثة غريبة، فقد خرج محمد صلى الله عليه وسلم ذات يوم ليلاً مع أخيه من الرضاعة ابن حليمة السعدية، وفي أثناء لعبهما ظهر رجلان فجأة، واتجها نحو محمد صلى الله عليه وسلم فامسكاه، وأضجعاه على الأرض ثم شقّا صدره، وكان أخوه من الرضاعة يشاهد عن قرب ما يحدث له، فأسرع نحو أمه وهو يصرخ، ويحكي لها ما حدث.

فأسرعت حليمة السعدية وهي مذعورة إلى حيث يوجد الغلام القرشي فهو أمانة عندها، وتخشى عليه أن يصاب بسوء، لكنها على عكس ما تصورت، وجدته واقفاً وحده، قد تأثر بما حدث، فاصفر لونه، فضمته في حنان إلى صدرها،

وعادت به إلى البيت، فسألته حليمة: ماذا حدث لك يا محمد؟ فأخذ يقص عليها ما حدث، لقد كان هذان الرجلان ملكين من السماء أرسلهما الله تعالى؛ ليطهرا قلبه ويغسلاه، حتى يتهيا للرسالة العظيمة التي سيكلفه الله بها.

خافت حليمة على محمد، فحملته إلى أمه في مكة، وأخبرتها بما حدث لابنها، فقالت لها السيدة آمنة في ثقة: أتخوّفت عليه الشيطان؟ فأجابتها حليمة: نعم، فقالت السيدة آمنة: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأنًا؛
لقد رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور، أضاء لي به قصور الشام، وكان حفله يسيراً، فرجعت به حليمة إلى قومها بعد أن زال الخوف من قلبها، وظلّ عندها حتى بلغ عمره خمس سنوات، ثم عاد إلى أمه في مكة.

رحلة محمد ﷺ مع أمّه إلى يثرب

وذات يوم، خرجت السيدة آمنة ومعها طفلها محمد وخدمتها أم أيمن من مكة متوجّهة إلى يثرب؛ لزيارة قبر زوجها عبد الله، وفأله، ول يعرف ولدتها قبر أبيه، ويزور أخوال جده من بني النجار، وكان الجو شديد الحر، وتحملت أعباء هذه الرحلة الطويلة الشاقة، وظلت السيدة آمنة شهرًا في المدينة، وأثناء عودتها مرضت وماتت وهي في الطريق، في مكان يسمى الأبواء، فدفنت فيه، وعادت أم أيمن إلى مكة بالطفل محمد يتيمًا وحيدًا، فعاش مع جده عبدالمطلب، وكان عمر محمد آنذاك ست سنوات.

محمد ﷺ في كفالة جده عبد المطلب

بعد وفاة السيدة آمنة عاش محمد صلى الله عليه وسلم في ظل
كفالة جده عبدالمطلب الذي امتلاً قلبه بحب محمد،
فكان يؤثر أن يصحبه في مجالسه العامة،
ويجلسه على فراشه بجوار الكعبة، ولكن عبدالمطلب فارق الحياة
ومحمد في الثامنة من عمره

محمد ﷺ في كفالة عمه أبي طالب

وتتكفل به بعد وفاة جده عبدالمطلب، فقام بتربيته ورعايته هو وزوجته فاطمة بنت أسد، وأخذه مع أبنائه، رغم أنه لم يكن أكثر
أعمام النبي صلى الله عليه وسلم مالاً، لكنه كان أكثرهم نبلًا وشرفًا،
فزاد عطفه على محمد صلى الله عليه وسلم حتى إنه كان لا يجلس
في مجلس إلا وهو معه، ويناديه بابنه من شدة حبه له.

رحلة إلى الشام

خرج محمد صلى الله عليه وسلم مع عمّه أبو طالب في رحلة إلى
الشام مع القوافل التجارية وعمره اثنا عشر عاماً، وتحركت القافلة،
ومضت في طريقها؛

حتى وصلت إلى بلدة اسمها (بصري) وأثناء سيرها مرت بكوخ يسكنه راهب اسمه (بُحينَى) فلما رأى القافلة خرج إليها، ودقق النظر في وجه محمد صلى الله عليه وسلم طويلاً، ثم قال لأبي طالب: ما قرابة هذا الغلام منك؟ فقال أبو طالب: هو ابني - وكان يدعوه بابنه حبّاً له - قال بحيري: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون هذا الغلام أبوه حياً، قال أبو طالب: هو ابن أخي، فسألته بحيري: فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب: مات وأمه حبلى به؟ فقال له بحيري: صدقت! فارجع به إلى بلده واحذر عليه اليهود!! فوالله لئن رأوه هنا ليوقعون به شراً، فإنه سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع أبو طالب بالعودة إلى مكة وفي صحبته ابن أخيه محمد.

شبابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان الشباب في مكة يلهون ويعثرون، أما محمد صلى الله عليه وسلم فكان يعمل ولا يتکاسل؛ يرعى الأغنام طوال النهار، ويتأمل الكون ويفكر في خلق الله، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - بعد أن أُوتِيَ النبوة - ذلك العمل، فقال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابه: وأنت؟ قال: (نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) [البخاري] وكان الله - سبحانه - يحرسه ويرعاه على الدوام؛ فذات يوم فكر أن يلهم كما يلهم الشباب، فطلب من صاحب له أن يحرس أغنامه، حتى ينزل مكة ويشارك الشباب في لهوهم، وعندما وصل إليها وجد حفل زواج، فوقف عنده، فسلط الله عليه النوم، ولم يستيقظ إلا في صباح اليوم التالي.

وعندما كانت قريش تجدد بناء الكعبة، كان محمد صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: أجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة، ففعل، فخر إلى الأرض، وجعل ينظر بعينيه إلى السماء، ويقول: إزارِي.. إزارِي، فشد عليه، فما رأى بعد ذلك عرياناً.

التاجر الأمين

وحين جاوز النبي صلى الله عليه وسلم العشرين من عمره أتيحت له فرصة السفر مع قافلة التجارة إلى الشام، ففي مكة كان الناس يستعدون لرحلة الصيف التجارية إلى الشام، وكل منهم يعد راحلته وبضاعته وأمواله، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد - وهي من أشرف نساء قريش، وأكرمهن أخلاقاً، وأكثرهن مالاً - تبحث عن رجل أمين يتاجر لها في مالها ويخرج به مع القوم، فسمعت عن محمد وأخلاقه العظيمة، ومكانته عند أهل مكة جميعاً، واحترامهم له؛ لأنَّه صادق أمين، فاتفقت معه أن يتاجر لها مقابل مبلغ من المال، فوافق محمد صلى الله عليه وسلم وخرج مع غلام لها اسمه ميسرة إلى الشام. تحركت القافلة في طريقها إلى الشام، وبعد أن قطع القوم المسافات الطويلة نزلوا ليستريحوا بعض الوقت، وجلس محمد صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، وعلى مقربة منه صومعة راهب، وما إن رأى الراهب محمداً صلى الله عليه وسلم حتى أخذ ينظر إليه ويطيل النظر، ثم سأله ميسرة:

من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلانبي، وباعت القافلة كل تجارتھا، واشترت ما تريده من البضائع، وكان ميسرة ينظر إلى محمد ويتعجب من سماحته وأخلاقه والربح الكبير الذي حققه في مال السيدة خديجة.

وفي طريق العودة حدث أمر عجيب، فقد كانت هناك غمامات في السماء تظل محمداً وتقيه الحر، وكان ميسرة ينظر إلى ذلك المشهد، وقد بدت على وجهه علامات الدهشة والتعجب، وأخيراً وصلت القافلة إلى مكة فخرج الناس لاستقبالها مشتاقين؛ كل منهم يريد الاطمئنان على أمواله، وما تحقق له من ربح، وحكي ميسرة لسیدته خديجة ما رأى من أمر محمد، فقد أخبرها بما قاله الراهب، وبالغمامة التي كانت تظل محمداً في الطريق؛ لتقيه من الحر دون سائر أفراد القافلة.

زواج محمد ﷺ من السيدة خديجة

استمعت السيدة خديجة إلى ميسرة في دهشة، وقد تأكدت من أمانة محمد صلى الله عليه وسلم وحسن أخلاقه، فتمنت أن تتزوجه، فأرسلت السيدة خديجة صديقتها نفيسة بنت منبه؛ لتعرض على محمد الزواج، فوافق محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الزواج، وكلم أعمامه، الذين رحبوا ووافقوا على هذا الزواج،

وساروا إلى السيدة خديجة يريدون خطبتها؛ فلما انتهوا إلى دار خويلد قام أبو طالب عم النبي وكفيله يخطب خطبة العرس، فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بيئاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا أمناء بيته، وشُؤُس حرمته، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً، وإن كان في المال قلا، فإن المال ظل زائل، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وأجله من مالي كذا وكذا، وهو والله بعد هذا له نباً عظيم، وخطر جليل)

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة، وعاشا معاً حياة طيبة موفقة، ورزقهما الله تعالى البنين والبنات، فأنجبت له ستة أولاد هم: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبدالله، والقاسم، وبه يكى الرسول فيقال: أبو القاسم.

بناء الكعبة وقصة الحجر الأسود

اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة، وأنباء البناء اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، واشتد الخلاف بينهم، وكاد أن يتحول إلى حرب بين قبائل قريش، ولكنهم تداركوا أمرهم، وارتضوا أن يحكموا أول داخل عليهم وانتظر القوم، وكل واحد يسأل نفسه: ترى من سيأتي الآن؟ ولمن سيحكم؟

وفجأة تهلت وجوههم بالفرحة والسرور عندما رأوا محمداً يقبل عليهم، فكل واحد منهم يحبه ويثق في عدله وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، فهتفوا: هذا الأمين قد رضيناه حكماً، وعرضوا عليه الأمر وطلبو منه أن يحكم بينهم، فخلع الرسول صلى الله عليه وسلم رداءه ووضع الحجر عليه، ثم أمر رؤساء القبائل فرفعوا الثوب حتى أوصلا الحجر إلى مكانه من الكعبة، عندئذ حمله الرسول صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة ووضعه مكانه، وهكذا كفاهم الله شر القتال.

الوحى

كان محمد صلى الله عليه وسلم يكثر من الذهاب إلى غار حراء، فيجلس وحده فيه أيامًا بلياليها؛ يفكر في خالق هذا الكون بعيداً عن الناس وما يفعلونه من آثام، ولقد كان يمشي تلك المسافة الطويلة ويصعد ذلك الجبل العالي، ثم يعود إلى مكة ليتزود بالطعام ويرجع إلى ذلك الغار، وظل مدة لا يرى رؤيا إلا وتحققت كما رأها، وبذات تحدث له أشياء عجيبة لا تحدث لأي إنسان آخر، فقد كان في مكة حجر يسلم عليه كلما مر به، قال صلى الله عليه وسلم:

(إنني لا أعرف حجزاً بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إنني لا أعرفه الآن) [مسلم]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس ذات يوم في الغار، وإذا بجبريل -عليه السلام- ينزل عليه في صورة رجل ويقول له: اقرأ

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فخاف وارتعد، وقال للرجل: ما أنا بقارئ. وإذا بجبريل -عليه السلام- يضم النبي صلى الله عليه وسلم إليه بشدة، ثم يتركه ويقول له: اقرأ. فقال محمد: ما أنا بقارئ. وتكرر ذلك مرة ثالثة، فقال جبريل: {اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علقة . اقرأ وربك الأكرم} [العلق: 1-3]. فكانت هذه أولى آيات القرآن التي نزلت في شهر رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في السنة الأربعين من عمره.

رجع محمد صلى الله عليه وسلم إلى بيته مسرعاً، ثم رقد وهو يرتعش، وطلب من زوجته أن تغطيه قائلاً: (زملوني، زملوني) وحكى لها ما رأه في الغار، فطمأنته السيدة خديجة، وقالت له: كلام والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلَّ (الضعيف) وتُكسب المعدوم، وتحصي (تكرم) الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلما استمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى كلام السيدة خديجة، عادت إليه الطمأنينة، وزال عنه الخوف والرعب، وبدأ يفكر فيما حدث.

حكاية ورقة بن نوفل

وكان للسيدة خديجة ابن عم، اسمه (ورقة بن نوفل) على علم بالديانة المسيحية فذهبت إليه ومعها زوجها؛ ليسألاه عما حدث، فقالت خديجة لورقة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بالذي حدث في غار حراء،

فلما سمعه ورقة قال: هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، ثم أخبره (ورقة) أنه يتمنى أن يعيش حتى ينصره، ويكون معه عندما يحاربه قومه، ويخرجونه من مكة، فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك تعجب ورقة قائلاً: أو مُخرجٌ هم؟ فقال له: نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا غودي، ومنذ ذلك اليوم والرسول صلى الله عليه وسلم يزداد شوقاً لوحبي السماء الذي تأخر نزوله عليه بعد هذه المرة.

عودة الوحي

وبعد فترة، وبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمشي إذا به يسمع صوتاً، فرفع وجهه إلى السماء، فرأى الملك الذي جاءه في غار حراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فارتعد الرسول صلى الله عليه وسلم من هول المنظر، وأسرع إلى المنزل، وطلب من زوجته أن تغطيه، قائلاً: دثروني . دثروني، وإذا بجبريل ينزل إليه بهذه الآيات التي يوجهها الله إليه: {يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر} _ [المدثر: 1-5] وفي هذه الآيات تكليف من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس.

الدعوة إلى الإسلام سراً

كان الناس في مكة يعبدون الأصنام منذ زمن بعيد، وقد ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم؛ فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام سراً، وببدأ بأقرب الناس إليه، فآمنت به زوجته

خديجة بنت خويلد، فكانت أول من آمن من النساء وأمن به أيضاً ابن عمه علي بن أبي طالب، أول من آمن من الصبيان وكان غلاماً في العاشرة من عمره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يقوم بتربية، وكان صديقه أبو بكر أول الذين آمنوا به من الرجال، وكان ذا مكانة عظيمة بين قومه، يأتي الناس إليه ويجلسون معه، فاستغل أبو بكر مكانته هذه وأخذ يدعو من يأتي إليه ويثق فيه إلى الإسلام، فأسلم على يديه عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيد الله .. وغيرهم.

ولم تكن الصلاة قد فرضت في ذلك الوقت بالكيفية التي نعرفها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلی بأصحابه الذين أسلموا سرّاً ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل الغروب، وذلك في مكان بعيد عن أعين الكفار.

وذات يوم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلی بأصحابه في شعب من شعاب مكة، إذ أقبل عليهم أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي لم يؤمن برسالته، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون، سأله عن هذا الدين الجديد، فأخبره الرسول ﷺ به لأنه يثق في عمه ويأمل أن يدخل الإسلام، ولكن أبو طالب رفض أن يتراك دين آبائه وأجداده وطمأن النبي صلى الله عليه وسلم وتعهد بحمايته من أعدائه، وأوصى ابنه عليه أن يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمر الرسول ﷺ يدعو قومه سرّاً، وعدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم، ويقوى الإيمان في قلوبهم بما ينزله الله عليهم من القرآن الكريم، وظلوا هكذا ثلاث سنوات.

مرحلة الدعوة الجهرية

أمر الله سبحانه ونبله عليه وسلم أن يجهر بالدعوة ويبدأ بعشيرته وأهله، فقال تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: 214] فنادى الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً، وقال: (يا بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم وبني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذني نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحمة سأبألها بيلالها) (سأصلها) [مسلم].

ونزل هذا الكلام على قلوب الكفار نزول الصاعقة، فقد أصبحت المواجهة واضحة بينهم وبين رسول الله ﷺ، إنه يتطلب منهم أن يتركوا الأصنام التي يعبدونها، وأن يتركوا الفواحش، فلا يتعاملون بالربا، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يظلمون أحداً، لكنهم قابلو تلك الدعوة بالرفض، وبدعوا يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن دعوته، فصبر ﷺ عليهم وعلى تطاولهم.

وذات مرة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يطوف باليت، فتطاول عليه بعض الكفار بالكلام، ولكنه صبر عليهم ومضى، فلما مرّ عليهم ثانية تطاولوا عليه بمثل ما فعلوا، فصبر ولم يرد، ثم مرّ بهم الثالثة، فتطاولوا عليه بمثل ما فعلوا أيضاً، فقال صلى الله عليه وسلم لهم: (أتسمعون يا معاشر قريش؟ أما الذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح)

فخاف القوم حتى إن أكثرهم وقاحة أصبح يقول للرسول
صلى الله عليه وسلم بكل أدب: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً،
فوالله ما كنت جهولاً.

وذات يوم، أقبل رجل من بلد اسمها (إراش) إلى مكة، فظلمه أبو
جهل، وأخذ منه إبله، فذهب الرجل إلى نادي قريش يسألهم عن
رجل ينصره على أبي جهل،

وهنا وجد الكفار فرصة للتسلية والضحك والسخرية من رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فأمرروا الرجل أن يذهب إلى الرسول صلى
الله عليه وسلم ليأخذ له حقه، فذهب الرجل إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وأخذوا ينظرون إليه ليروا ما سيحدث، فقام النبي
صلى الله عليه وسلم مع الرجل ليعيده له حقه من أبي جهل، فأرسلوا
وراءه أحدهم: ليرى ما سوف يصنعه أبو جهل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فذهب الرجل صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي
جهل، وطرق بابه، فخرج أبو جهل من البيت خائفاً مرتعداً، وقد تغير
لونه من شدة الخوف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(أعط هذا الرجل حقه) فرد أبو جهل دون تردد: لا تبرح حتى أعطيه
الذي له، ودخل البيت مسرعاً، فأخرج مال الرجل، فأخذه، وانصرف.
وعندما أقبل أبو جهل على قومه بادروه قائلين: ويلك! ما بك؟ فقال
لهم: والله ما هو إلا أن ضرب علىي وسمعت صوته فملئت منه رعباً،
ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثله قط،
فوالله لو أبيت لأكلني. [البيهقي]

وبدأ كفار قريش مرحلة جديدة من المفاوضات، فذهبوا إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا له: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكتفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فرد عليهم أبو طالب ردًا رقيقًا، فانصرفوا عنه.

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمر في إظهار دين الله ودعوة الناس إليه، فجمع الكفار أنفسهم مرة أخرى وذهبوا إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سُنًّا وشرفاً ومنزلة فينا، وإننا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإن الله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسيفيه أحلامنا، وعييب آلهتنا، حتى تكتفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

وأرسل أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما جاء قال له: يا بن أخي! إن قومك قد جاءوني، وقالوا كذا وكذا فأبقي على وعلى نفسك، ولا تُحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكف عن قومك ما يكرهون من قولك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه: (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه) فقال أبو طالب: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله! لا أسلمك لشيء أبداً. لم يستطع المشركون أن يوقفوا مسيرة الدعوة للإسلام، ولم يستطعوا إغراء الرسول صلى الله عليه وسلم بالمال أو بالجاه، وقد خاب أملهم في عمه أبي طالب،

وها هو ذا موسم الحج يقبل، والعرب سوف يأتون من كل مكان، وقد سمعوا بمحمد ودعوته، وسوف يستمعون إليه وربما آمنوا به. ونصروه، فتسرب الخوف إلى قلوب الكفار في مكة، وفكروا في قول واحد يتفقون عليه ويقولونه عن محمد صلى الله عليه وسلم حتى يصرفوا العرب عنه، فالتفتوا حول الوليد بن المغيرة، وكان أكبرهم سناً؛ فقال أحدهم: نقول إن محمداً كاهن، فقال الوليد: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمامة الكاهن ولا سجعه، فقالوا: نقول إن محمداً مجنون، فقال لهم: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه، فقالوا: نقول إن محمداً شاعر، فقال لهم: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله فما هو بالشعر، فقالوا: نقول ساحر، فقال لهم: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم وما هو منهم.

قالوا للوليد بن المغيرة: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ فأقسم لهم أن كلام محمد هو أحل الكلام وأطيبه، وما هم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: إن محمداً ساحر يفرق بين المرأة وأخيه وبين الرجل وزوجته والرجل وأبيه، فوافق الكفار على رأيه وانتشروا في موسم الحج يرددون هذه الافتراءات بين الناس، حتى يصدوهم عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله: {ذرني ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالاً ممدوذاً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً . سارهقه صعوداً . إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر

سأرهقه صعوباً . إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف
قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا
سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر . وما أدرك ما
سقر . لا تبقي ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعه عشرة
[المدثر: 11-30].

إسلام عمر بن الخطاب

دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الله أن يعز الإسلام بأحد العمران:
عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام، وكان عمر بن الخطاب قبل أن
يسلم شديد الإيذاء للمسلمين، وذات يوم حمل عمر سيفه، وانطلق
يبحث عن محمد ليقتله، وفي الطريق قابله رجل، وأخبره أن أخته
فاطمة قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد، فاتجه عمر غاضباً نحو
دار أخته، ودق الباب، وكان الصحابي خباب بن الأزثم -رضي الله
عنه- يعلم أخت عمر وزوجها القرآن الكريم، فلما سمعوا صوت عمر
امتلأت قلوبهم بالرعب والخوف، وأسرع خباب فاختباً في زاوية من
البيت، ودخل عمر فقال: لقد أخبرت أنكم تبعتما محمداً على دينه،
ثم ضرب زوج أخته، وضرب أخته على وجهها حتى سال الدم من
وجهها، ولكنها لم تخف، وقالت له في ثبات وشجاعة: نعم أسلمنا
وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما شئت.

ندم عمر على ما صنع بأخته، وطلب منها الصحفة التي كانوا
يقرءون منها،

فقالت له: يا أخي إنك نجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقام عمر فاغتسل، فأعطيته الصحيفة، فقرأ عمر: بسم الله الرحمن الرحيم {طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلي . الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الشري . وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى .

الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنة} [طه: 1-8].

وكانت هذه الآيات نوراً جذب عمر إلى الإسلام وأضاء له طريق الحق، فما إن قرأها حتى لان قلبه، وهذا طبعه، وذهب عنه الغضب، وقال -والإيمان يفيض في جوانحه-: ما أحسن هذا الكلام وما أكرمه، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه، وبعد قليل من إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-. سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة في وضح النهار بين عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب -رضي الله عنهما-. وامتنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما، وكان المسلمون لا يقدرون أن يصليوا عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم هو وحمزة بن عبدالمطلب صلى المسلمون عند الكعبة.

الهجرة إلى الجبعة

أصبحت مكة سجناً كبيراً يعذب فيه ضعفاء المسلمين، فهذا أمية بن خلف يُخرج عبده بلال بن رباح -رضي الله عنه-. في حر الظهيرة ويطرحه على ظهره عرياناً فوق الرمال المحرق،

ويضع على صدره صخرة كبيرة، كل هذا العذاب لأن بلال أسلم وسديده يريد منه أن يكفر بمحمد ويعبد الأصنام، لكن بلال كان قوي الإيمان صلب العقيدة، لم يلن ولم يستسلم، وكان يردد قائلاً: أحد .. أحد. وتحمل كل هذا العذاب حتى فرج الله عنه.

وقد اغذب المسلمين داخل بيوتهم؛ فهذا مصعب بن عمير قد حبسه أمه، ومنعت عنه الطعام، وجمعت أخواله حتى يعذبوه ليترك الإسلام، وهكذا أصبحت مكة مكاناً غير مأمون على المسلمين، فتعذيب الكفار لهم يزداد يوماً بعد يوم، ففكر النبي صلى الله عليه وسلم في مكان يطمئن فيه على أصحابه، فوقع اختياره على الحبشة، فأمر أصحابه من يطيقون الهجرة بالتوجه إليها، لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وخرج بعض المسلمين المهاجرين إلى هناك سراً، وكان من بينهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، وعبدالله بن مسعود -رضي الله عنهم- وغيرهم.

ولما علم أهل قريش بذلك اشتد غيظهم ورفضوا أن يتركوا المسلمين المهاجرين إلى الحبشة و شأنهم، بل صمموا على إرجاعهم إلى مكة، فاختاروا من بينهم رجلين معروفيين بالذكاء،

وهما: عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي بلتقة وأرسلوهما بهدايا إلى ملك الحبشة، فدخل عمرو بن العاص على النجاشي، وقال له: أيها الملك، إنه ضُئْر (جاء) إلى بلدك منا سفهاء، فارقوه دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إلى الملك فيهم آباءُهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم،

فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فرفض النجاشي أن يسلم المسلمين لهم، حتى يبعث إليهم ويتأكد من صحة كلام عمرو وصاحبه. فأرسل النجاشي في طلب المسلمين المهاجرين إلى بلاده ف جاءوا إليه، وأنابوا جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه-. حتى يتحدث باسمهم، فسأله النجاشي: ما هذا الدين الذي قد فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فرداً عليه جعفر قائلاً: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبد، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحسنات.

وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلوة والزكاة والصيام فصدقناه وأمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنتونا عن ديننا، ليبردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله -تعالى- وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واحتدركنا على من سواك، ورغبتنا في جوارك، ورجونا أن لا ظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشي:

هل معك مما جاء به الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. فقال النجاشي:
اقرأه على. فقرأ عليه جعفر أول سورة مريم،
فبكى النجاشي، ثم قال: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من
مشكاة واحدة، ثم قال لعمرو وصاحبه: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم
إليكم، ورد النجاشي الهدايا إلى عمرو ولم يسلم المسلمين إليه،
وهكذا فشل المشركون في الإيقاع بين المسلمين وملك الحبشة.

المقاطعة

ازداد عدد المسلمين، وانضم إليهم عدد من أصحاب القوة والسيطرة،
فأصبح من الصعب على المشركين تعذيبهم، ففكروا في تعذيب من
نوع آخر، يشمل كل المسلمين قويهم وضعيفهم، بل يشمل كل من
يحمي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى ولو لم يدخل
في الإسلام، فقرر المشركون أن يقاطعوا بني هاشم ومن معهم، فلا
يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم،
ولا يكلمونهم، ولا يدخلون بيوتهم، وأن يستمرروا هكذا حتى يسلموا
إليهم محمداً ليقتلوه أو يتركوا دينهم، وأقسم المشركون على هذا
العهد، وكتبوا في صحيفة وعلقوها داخل الكعبة.

وأحکم المشركون الحصار، فاضطر الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه إلى الاحتياس في شعب بني هاشم، وكان رجال قريش
يتظرون التجار القادمين إلى مكة ليشتروا منهم الطعام ويمنعوا
المسلمين من شرائه، فيظلون على جوعهم،

فهذا أبو لهب يقول لتجار قريش عندما يرى مسلماً يشتري طعاماً لأولاده: يا معاشر التجار، غالوا على أصحاب محمد؛ حتى لا يدركونكم شيئاً، فيزيدون عليهم في السلعة، حتى يرجع المسلم إلى أطفاله، وهم يتآلمون من الجوع، وليس في يديه شيء يطعمهم به. ويذهب التجار إلى أبي لهب فيريحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى تعب المؤمنون ومن معهم من الجوع والعري، واستمر هذا الحصار علىبني هاشم والمسلمين مدة ثلاثة سنوات، ولكن المسلمين أثبتوا أنهم أقوى من كل حيل المشركين، فإيمانهم راسخ في قلوبهم لا يزحزحه جوع ولا عطش، حتى وإن اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، فلم ييأسوا، ولم ينفُضوا من حول نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وشعر بعض المشركين بسوء ما يفعلونه، فقرروا إنهاء هذه المقاطعة الظالمة وأرسل الله تعالى الأرضة (دودة أو حشرة صغيرة تشبه النملة) فأكلت صحيفتهم، ولم تبق إلا اسم الله تعالى، وأوحى الله إلى نبيه بذلك، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب بما حدث للصحيفة، فذهب أبو طالب إلى الكفار وأخبرهم بما أخبره محمد صلى الله عليه وسلم به، فأسرعوا إلى الصحيفة، فوجدوا ما قاله أبو طالب صدقًا، وتقدم من المشركين هشام بن عمرو، وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فتبراءوا من هذه المعاهدة، وبذلك انتهت المقاطعة بعد ثلاثة سنوات من الصبر والثبات والتحمل.

عام الحزن

في العام العاشر منبعثة كانت الأحزان على موعد مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أهل مكة، ثم ماتت زوجته الوفية الصادقة السيدة خديجة -رضي الله عنها- التي كانت تخفف عنه، وتوبيه في دعوته إلى الله -عز وجل- وهي التي آمنت به وساعدته بمالها، ورزقه الله منها الأولاد، فكان رسول الله ﷺ يحبها ويقدرها، وبشرها الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة -قبل موتها- فقد أتى جبريل -عليه السلام- النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إماء فيه إدام، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر الكبير) لا صخب فيه ولا نصب) [البخاري].

فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً على وفاة زوجته وعمه، وأزداد قلقه على الدعوة، فقد فقد نصيرين كبيرين، وصدق ما توقعه الرسول ﷺ فقد اشتد تعذيب المشركين له ولأصحابه.

زواج الرسول ﷺ من السيدة سودة

كانت السيدة سودة بنت زمعة -رضي الله عنها- قد أسلمت في بداية الإسلام وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها السكران بن عمرو، ثم عادت إلى مكة، وقد مات زوجها، فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم إكراماً لها، ورحمة بها.

رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف

لم ييأس الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أعرض أهل مكة عن قبول الدعوة ولكنه بحث عن مكان آخر لنشر الدين، فأرض الله واسعة، وقد أرسله الله تعالى ليخرج الناس جمِيعاً من الظلمات إلى النور. فسافر رسول الله صلی الله عليه وسلم ومعه خادمه زيد بن حارثة إلى الطائف وكان ذلك بعد مضي عشر سنوات منبعثته، وظل في الطائف عشرة أيام يدعو كبار القوم إلى الإسلام، ولكن الطائف لم تكن أحسن حالاً من مكة، فقد رفض أهلها قبول دعوته، ولم يكتفوا بذلك، بل إنهم سلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم فوقفوا صفين على طول طريق الرسول صلی الله عليه وسلم يسبونه، ويقذفونه بالحجارة هو وزيد بن حارثة الذي كان يدافع عن رسول الله صلی الله عليه وسلم بنفسه ويصد الحجارة، حتى جرح في رأسه، وسال الدم من قدم الرسول صلی الله عليه وسلم.

عندئذ توجه الرسول صلی الله عليه وسلم إلى ربه، ولجا إليه، ورفع يديه قائلاً: (اللهم إلينا أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلني، إلى بعيد يتوجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك،

أو أن ينزل بي سخطك، لك العتبى (التوبة والرجوع والاستغفار)
حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)
[ابن إسحاق].

ووجد النبي صلى الله عليه وسلم بستانًا لعتبة وشيبة أبني ربيعة
فجلس فيه يريح جسده المتعب لبعض الوقت، ورأى عتبة وشيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الحال، فرق قلبهما له مع
أنهما مشركان، فأرسلا غلامهما عداساً بعنقود من عنب، ليقدمه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناوله قائلاً: بسم الله، فتعجب
عداس، وقال: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد -يعنى لا
يقولون بسم الله- فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن دينه
وبلده، فقال عداس: أنا نصراوي من أهل نينوى، فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم:

(من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟) فقال عداس متعجباً: وما
يدريك ما يونس بن متى؟! فقال صلى الله عليه وسلم: (ذلك أخي
كاننبياً وأنانبي) فانكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقبل رأسه ويديه وقدمييه المجردتين.

وفي طريق عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، شاء
الله أن يخفف عنه ما عاناه في الطائف، فعندما وقف يصلي الفجر
مر به نفر من الجن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته رجعوا إلى
قومهم وقد آمنوا بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى
مخبراً عن هذا: {قل أُوحِي إليَّ أَنَّهُ اسْتَمِعَ نَفْرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَا
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجِيبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} _

[الجن: 1]

الإسراء والمعراج

وهكذا أعرض أهل مكة عن الإسلام، وخذل أهل الطائف النبي صلى الله عليه وسلم، وازداد إيذاء الكافرين له ولصحابته، وخاصة بعد وفاة السيدة خديجة -رضي الله عنها-. وعمه أبي طالب، وأراد الله سبحانه- أن يخفف عن نبيه ، فأكرمه برحمة الإسراء والمعراج؛ فبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم نائماً بعد العشاء جاءه جبريل، فأيقظه وخرج به حتى انتهي إلى دابة اسمها (البراق) تشبه البغل، ولها جناحان، فركب الرسول صلى الله عليه وسلم البراق حتى وصل بيت المقدس في فلسطين، وصل بالأنبياء ركعتين.

وهذه الرحلة من مكة إلى بيت المقدس تسمى (الإسراء)

قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} _[الإسراء: 1].

ثم بدأت الرحلة السماوية من المسجد الأقصى إلى السموات العليا وتسمى (المعراج) وإذا بأبواب السماء تفتح للنبي صلى الله عليه وسلم، فسلم على الملائكة، وظل يصعد من سماء إلى سماء يرافقه جبريل؛ فرأى الجنة والنار، ورأى من مشاهد الآخرة ما لم يره إنسان حتى وصل إلى سدة الممتهن، وهو موضع لم يبلغه النبي أو ملك قبله ولا بعده تكريماً له، قال تعالى: {فكان قاب قوسين أو أدنى .

فأوحى إلى عبده ما أوحى} [النجم: 10-9]

وفي هذه الليلة، فرض الله الصلوات الخمس على المسلمين، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، وركب البراق عائداً إلى مكة.

وفي الصباح، حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ما حدث، فكذبوه وسخروا من كلامه، وأراد الكفار أن يختبروا صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فطلبوه منه أن يصف بيت المقدس - ولم يكن رأه من قبل - فأظهر الله له صورة بيت المقدس، فأخذ يصفه وهو يراه، وهم لا يرونها، وأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأشياء رأها في الطريق، وبقوم مر عليهم وهم في طريقهم إلى مكة، فخرج الناس ينتظرونهم، فجاءوا في موعدهم الذي حددته النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا بصدقه.

وأسرع بعضهم إلى أبي بكر يقول له في استنكار: أسمعت ما يقول محمد؟ وكان أبو بكر مؤمناً صادقاً بالإيمان، فصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما قاله، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم (الصديق) وهكذا كانت هذه الرحلة تسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتحفيقاً للأحزان التي مرت بها، وتأكيداً من الله له على أنه قادر على نصرته، وكانت أيضاً ابتلاء للذين آمنوا حتى يميز الله الطيب من الخبيث.

موسم الحج

جاء موسم الحج في السنة العاشرة منبعثة، فاجتمعت القبائل من كل مكان وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم قائلاً: (يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتكم كنتم ملوكاً في الجنة) [الطبراني وابن سعد] ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم ستة رجال من (يثرب) يتحدثون، فاقترب منهم، وقال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج.

قال: أمن موالى يهود (أي من حلفائهم؟)

قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بل.

فجلس معهم وحدتهم عن الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فانشرح لهم صدورهم، وظهرت علامات القبول على وجوههم، وكانت بينهم وبين اليهود عداوة، فكان اليهود يهددونهم بظهور النبي، وسوف يؤيدونه ويقاتلونهم معه، فلما سمعوا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم لبعض وقالوا: تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقكم إليه .. فأجابوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما دعاهم إليه، ووعدوه بأن يقابلوه في العام المقبل، ثم انصرفوا إلى قومهم وحدثوهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتشرت أخباره في يثرب. [ابن إسحاق].

بيعة العقبة الأولى

وفي شهر ذي الحجة سنة إحدى عشرة منبعثة، قدم إلى مكة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب من بينهم خمسة من الستة الذين كلموا الرسول صلى الله عليه وسلم في العام الماضي، واجتمع معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان اسمه العقبة؛ فآمنوا به صلى الله عليه وسلم، وبايدهم على لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يرتكبوا الفواحش والمنكرات، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يعصوه صلى الله عليه وسلم في معروف يأمرهم به.

وكانت هذه هي بيعة العقبة الأولى، وعندما عادوا إلى يثرب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير -رضي الله عنه- ليعلمهم أمور الدين ويقرأ عليهم القرآن، فأسلم على يديه كثير من أهل يثرب.

بيعة العقبة الثانية

وفي شهر ذي الحجة من العام الثاني عشر منبعثة، ذهب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأة من أهل يثرب إلى الحج، ليبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وفي ليلة الحادي عشر من ذي الحجة تسلل الرجال والمرأة وذهبوا إلى العقبة، وجاء إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، ولم يكن قد آمن وقتئذ، ولكنه جاء ليطمئن على اتفاق ابن أخيه مع أهل يثرب، ولبيبين لهم أنه قادر على حمايته في مكة

إن لم يكونوا قادرين على حمايته في المدينة.
وتمت بيعة العقبة الثانية، وفيها عاهد الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، وقال لهم : (تباعوني على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تتصرونني إذا قدمت عليكم، وتمنعوا من ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولهم الجنة) [أحمد].
وأصبح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتباعاً أقوىاء مستعدون لنصرته، والقتال من أجل الإسلام، حتى إن أحدهم وهو العباس بن عبادة -رضي الله عنه- قام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفعل إلا ما يأمره الله به، فقال له : (لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم) [ابن إسحاق]
واختار رسول الله ﷺ منهم اثنين عشر رجلاً ليكونوا أمراء عليهم حتى يهاجر إليهم. وفي الصباح، تسلل الخبر إلى كفار قريش، فاكتشفوا أمر ذلك الاجتماع الخطير، وخرجت قريش تطلب المسلمين من أهل يثرب فأدركوا (سعد بن عبادة) وأسروه وأخذوا يعذبونه ويُجْزُونه حتى أدخلوه مكة، وكان سعد يجير ويحمي تجارة اثنين من كبار مكة إذا مرا بيده، وهم جبير بن مطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فناداً بإسميهما فجاءوا وخلصاه من أيدي المشركين، وعاد سعد بن عبادة -رضي الله عنه- إلى يثرب.

الهجرة من مكة الى المدينة

أصبح كفار مكة في غيظ شديد، بعدهما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنصار في يثرب، وهم أهل حرب يجيدون القتال، وسوف ينصرن الإسلام،

فشعر كفار مكة أن الأمر سيخرج من أيديهم، فانقضوا على المسلمين بالتعذيب والأذى، والتف المسلمون حول نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الإذن في ترك مكة كلها، ويهاجرون بدينهم، حتى يستطيعوا أن يعبدوا الله تعالى وهم آمنون، فأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة. فبدأ المسلمون يتسللون سرًا إلى المدينة، تاركين ديارهم وأموالهم من أجل دينهم.

وجاء أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الهجرة، فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتظر لعل الله يجعل له صاحبًا، ففهم أبو بكر أنه سيظفر بالهجرة مع رسول الله ﷺ، فانتظر مسرورًا، وأخذ يُعد للرحلة المباركة، فجهرَ ناقتين ليركبهما هو ورسول الله ﷺ إلى المدينة.

المؤامرة

اجتمع زعماء مكة في دار الندوة -ذلك البيت الكبير الواسع الذي كان لقصي بن كلاب- وعلى وجوههم الغضب؛ للتشاور في أمر الرسول ﷺ، فقد شعروا أنه يعد نفسه للهجرة إلى المدينة،

وإذا تم له ذلك فسوف تصبح المدينة مركزاً كبيراً يتجمع فيه المسلمون من كل مكان حول النبي ﷺ، وبذلك يشكلون خطراً على تجارة أهل مكة عندما تمر بالمدينة في طريقها إلى الشام ذهاباً وإياباً، وبدأ النقاش، فقال بعضهم: نخرج محمداً من بلادنا فنستريح منه، وقال آخرون: نحبسه حتى يموت.

وقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة شاباً قوياً، ونعطيه كلاً منهم سيفاً صارماً قاطعاً، لينقضوا على محمد، ويضربوه ضربة قاتلة، وهكذا لا يستطيع عبد مناف -قوم محمد- محاربة القبائل كلها، فيقتلونه بأخذ ما يريدون من مال تعويضاً عن قتل محمد، وكان الشيطان اللعين يجلس بينهم في صورة شيخ نجدي وهم لا يعرفونه، فلما سمع ذلك الرأي قال في حماس: القول ما قال الرجل، وهذا الرأي لا رأى غيره، فاتفقوا جميعاً عليه.

وسجل القرآن الكريم ما دار في اجتماع المشركين ذلك، فقال تعالى: {إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأنفال: 30] وتدخلت عناية الله فجاء جبريل إلى الرسول ﷺ يأمره ألا يبيت هذه الليلة في فراشه وأن يستعد للهجرة، قالت عائشة -رضي الله عنها-: فبینما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حز الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ، ولم يكن يأتينا في مثل هذه الساعة، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. فجاء رسول الله ﷺ، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: (أخرج من عندك)

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: (فإنني قد أذن لي في الخروج) فقال أبو بكر: الصحبة بأبى أنت يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم).

أحداث الهجرة

كان الله - سبحانه - قادرًا على أن يرسل ملائكة من السماء يحمل رسوله إلى المدينة كما أسرى به ليلاً من مكة إلى المسجد الأقصى وعرج به السماء، ولكن جعل الهجرة فرصة كبيرة لتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم دروساً عظيمة في كيفية التفكير والتخطيط والأخذ بالأسباب التي توصل إلى النجاح.

ولنبدأ بأول هذه الدروس، فكيف يخرج النبي صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر - رضي الله عنه -

من بين هؤلاء الكفار دون أن يلحقوا بهما؟

فلو خرجا من مكة سالمين فإن المسافة طويلة بين مكة والمدينة وسوف يخرج وراءهما الكفار ويدركونهما، لابد إذن من الاختباء في مكان ما؛ حتى ييأس الكفار من البحث عنهم،

ومن هنا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم خطة محكمة لتنم الهجرة بسلام. فأمام بيت رسول الله ﷺ وقف مجموعة من شباب قريش في الليل، ينتظرون حتى يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم، فينقضوا عليه ويقتلوه،

وكان هؤلاء الكفار يتطلعون بين الحين والحين إلى فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطمئنوا على وجوده، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بالنوم في فراشه، وأن يتغطى ببردته، وطمأنه بأن المشركين لن يؤذوه بإذن الله.

واستجاب علي -رضي الله عنه- بكل شجاعة وحماس، ونفذ ما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم به، وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك تضليل المشركين، فإذا نظروا إليه من الباب ووجدوه في فراشه، ظنوا أنه صلى الله عليه وسلم ما زال نائماً، وقد كانت عند الرسول صلى الله عليه وسلم أمانات كثيرة تركها المشركون عنده، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يردها إلى أصحابها، فأمر علياً أن ينتظر في مكة لاداء هذه المهمة، رغم أنهم أخرجوا المسلمين من ديارهم، وأذوهם، ونهبوا أموالهم ولكن المسلم يجب أن يكون أميناً. وكان أبو جهل يقول لأصحابه متى هكذا برسول الله صلى الله عليه وسلم: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه أصبحتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فدخلتم الجنة، وإن لم تفعلوا ذبحكم ثم بعثتم من بعد موتكم فتدخلون النار تحرقون فيها. ونام علي -رضي الله عنه- في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الباب، وخرج وفي قبضته حفنة من التراب فنشرها على رءوس المشركين، وهو يقرأ سورة يس إلى قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ} [يس: 9]

وإذا برجل يمر عليهم فرأى التراب على دعوسيهم، فقال لهم: خيبيكم الله، قد خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه التراب. فنظروا من الباب،

فوجدوا رجلا نائما في مكان الرسول صلى الله عليه وسلم وعليه غطاؤه، فقالوا: هذا محمد في فراشه، وعليه بردة، ثم اقتحموا دار النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدوا عليا في فراشه، فخرجوا يبحثون عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مكان، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم خلال هذه الفترة قد وصل إلى بيت صاحبه أبي بكر -رضي الله عنه-

وعزما على الذهاب إلى غار ثور ليختبئا فيه.

وحمل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- كل ماله، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب صغير في نهاية المنزل حتى لا يراهما أحد، وانطلقا حتى وصلا الغار، وهناك وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل أبو بكر أولا؛ ليطمئن على خلو الغار من الحيات والعقارب، ثم سد ما فيه من فتحات حتى لا يخرج منها شيء، وبعد ذلك دخل الرسول صلى الله عليه وسلم.

وها هي ذي أسماء بنت أبي بكر يدخل عليها جدها أبو قحافة بعد أن علم بخروج ولده أبي بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رجلا كبيرا قد غمى، يسألها عما تركه أبو بكر في بيته ويقول: والله إني لأراك فجعلكم بما له مع نفسه، قالت: كلا يا أبا! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا،

وأخذت أحجراً فوضعتها في المكان الذي كان أبوها يضع ماله فيه، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده وقالت: يا أبت، ضع يدك على هذا، فوضع يده عليه فقال: لا بأس، فإن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. أما كفار مكة فإنهم حيارى، يبحثون عن الرسول ﷺ وصحابه ويضربون كفأ بكاف من الحيرة والعجب، فالصحراء على اتساعها مكشوفة أمامهم، ولكن لا أثر فيها لأحد ولا خيال لإنسان، فتتبعوا آثار الأقدام، فقادتهم إلى غار ثور، فوقفوا أمام الغار، وليس بينهم وبين الرسول ﷺ وصاحبته سوى أمتار قليلة، حتى إن أبي بكر رأى أرجلهم فقال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لو نظر أحدكم تحت قدميه لرأنا، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا أبي بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما) [متفق عليه]. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انصرف القوم، ولم يفكر أحدهم أن ينظر في الغار، وسجل القرآن هذا، فقال تعالى: {إلا تنتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانية اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجندٍ لم ترها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم} [التوبه: 40].

ومكث الرسول ﷺ وصاحبه في الغار ثلاثة أيام، وكان عبد الله بن أبي بكر يذهب إليهما بأخبار الكفار ليلاً، وأخته أسماء تحمل لهما الطعام، أما عامر بن فهيرة راعي غنم أبي بكر فقد كان يسير بالأغنام فوق آثار أقدام عبد الله وأسماء حتى لا يترك أثراً يوصل إلى الغار، وبعد انتهاء الأيام الثلاثة،

خف طلب المشركين للرسول ﷺ وصاحبه، فخرجوا من الغار، والتقيا بعد الله بن أريقط، وقد اتفقا معه على أن يكون دليلاً لهم في هذه الرحلة مقابل أجر.

تحرك الراكب بسلام، وأبو بكر لا يكفي عن الالتفات والدوران حول النبي ﷺ خوفاً عليه، ورسول الله ﷺ يقرأ القرآن، ولا يلتفت حوله فهو واثق من نصر الله -تعالى- له، ولا يخشى أحداً، وبينما أبو بكر يلتفت خلفه إذا بفارس يقبل نحوهما من بعيد، كان الفارس هو سراقة بن مالك وقد دفعه إلى ذلك أن قريشاً لما يئست من العثور على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، جعلوا مائة ناقة جائزة لمن يرده إليهم حياً أو ميتاً.

فانطلق سراقة بن مالك بفرسه وسلاحه في الصحراء طمعاً في الجائزة، فغاصت أقدام فرسه في الرمال مرتبين حين رأى رسول الله ﷺ، فنزل سراقة مسرعاً عن الفرس، حتى نزعت أقدامها من الرمال، فأيقن سراقة أن الله تعالى يحرس رسوله ﷺ، ولن يستطيع إنسان مهما فعل أن ينال منه، فطلب من رسول الله أن يعفو عنه، وعرض عليه الزاد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

(لا حاجة لنا، ولكن عمّ عنا الخبر) فوعده سراقة ألا يخبر أحداً، وعاد إلى مكة، وهكذا خرج سراقة يريد قتلهم وعد وهو يحرسهما ويبعده الناس عنهم، فسار النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى المدينة تحرسهما عنابة الله. وأثناء رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى المدينة مرأياً بمنازل خزاعة ودخلوا خيمة أم معبد الخزاعية، وكانت سيدة كريمة،

تطعم وتسقي من مَرْ بها، فسألها: عما إذا كان عندها شيء من طعام؟ فأخبرتهما أنها لا تملك شيئاً في ذلك الوقت، فقد كانت السنة شديدة القحط، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في جانب الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟

فأخبرته أنها شاة منعها المرض عن الخروج إلى المراعي مع بقية الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم إن رأيت بها حلباً فاحلبه.

فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، وطلب إماء فحلب فيه حتى علت الرغوة، فسقاها فشربت حتى شابت، وسقى رفيقيه أبا بكر وعبد الله بن أريقط حتى شبعا، ثم شرب، وحلب فيه ثانية حتى ملا الإناء، ثم تركه صلى الله عليه وسلم وانصرف.

الرسول ﷺ في قباء

علم أهل المدينة بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، فكانوا يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى مشارف المدينة، وعيونهم تتطلع إلى الطريق، وتشتاق لمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، ولا يعودون إلى بيوتهم إلا إذا اشتد حر الظهيرة، ولم يجدوا ظلاماً يقفون فيه.

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول انتظر أهل يثرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعادتهم، حتى اشتد الحر عليهم، فانصرفوا لبيوتهم، وبعد قليل أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبـهـ

فأبصراهم رجل يهودي كان يقف على نخالة، فصاح بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم قد جاء، فأسرع المسلمون لاستقبال نبيهم وصاحبـه أبي بكر الذي كان يُظل رسول الله صلى الله عليه وسلم برداًهـ من حر الشمس.

وبينما الرسول صلى الله عليه وسلم في قباء، في بيت سعد بن خيثمة يستقبل الوافدين عليه، أقبل علي بن أبي طالب من مكة بعد أن ظل فيها ثلاثة أيام بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليرد الأمانات إلى أهلها، وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم في قباء أربعة أيام يستقبل أهل المدينة، وعندما أقبل يوم الجمعة ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء متوجهـاً للمدينة بعد أن أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في الإسلام، وقال الله -عز وجل- عنه: {المسجد أنسـ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهـرين} _[التوبة: 108]. وكانت الهجرة حدثـاً فاصلاً بين عهـدين، فقد أعز الله المسلمين بعد أن كانوا مضطهدـين، وصارت لهم دار آمنـة يقيـمون فيها، ومسجد يصلـون فيه، ويؤدون فيه شعائرهم، ويـشاورون فيـ أمورهم، لهذا كلـه اتفق الصحابة على جعل الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي، فقد تحـول المسلمين من الضعف والـحصار والاضطهـاد إلى القـوة والانتـشار ورد العـدوـان.

الرسول في المدينة

كانت يثرب قبل الهجرة تموج بالصراعات والحروب والدسائس، فنار العداوة مشتعلة بين قبيلتي الأوس والخزرج، وال الحرب بينهما سجال، فإذا انتصر أحدهما عمل الآخر بكل طاقته على إلحاق الهزيمة به، حتى فني الرجال، وترملت النساء وتيتهم الأبناء، وكان اليهود يقفون خلف الستار، يزيدون النار اشتعالاً، فيمدون الطرفين بالسلاح، ويثيرون بينهما العداوات والفتنة؛ أملاين أن يقضي بعضهم على بعض، حتى تكون لليهود السيادة والكلمة الأولى في المدينة.

وأجتمع أهل يثرب على (عبدالله بن أبي بن سلول) لتكون له الكلمة العليا في إدارة المدينة، ولكن الله أراد السلامة للمدينة؛ وأراد لها أن تكون مركز الدولة الإسلامية، فأقبل موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، فاستقبله أهلها استقبلاً عظيماً؛ وكان أمل كل واحد منهم أن يستضيف الرسول ﷺ في بيته، فكلما مرت الناقة التي تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت، خرج أهل ذلك البيت، وتعلقوا بزمامها، وهم يرجون أن ينزل رسول الله ﷺ عندهم، فكان يقول لهم: (دعوا الناقة فإنها مأمورة) أي اتركوا الناقة فإنها ستقف وحدها حيث أمرها الله تعالى.

وفي مكان يملكه يتيمان من بني النجار أمام دار أبي أيوب الانصاري بركت الناقة، فقال صلى الله عليه وسلم: (هذا إن شاء الله المنزل) فحمل أبو أيوب رحل النبي ﷺ إلى بيته. [ابن إسحاق] وإذا بفتيات صغيرات من بني النجار، يخرجن فرحة بمقدم الرسول ﷺ

ويُنشدُن: نَحْنُ جَوَارٍ مِّنْ بَنِي النَّجَارِ يَا حَبَّدًا مُحَمَّدًا مِّنْ جَارٍ
وَفِي بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ الْمَكُونُ مِنْ طَابِقَيْنِ، نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ
صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّابِقِ السُّفْلَىِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُوبَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ
وَأُمِّيِّ، إِنِّي لَا كُرْهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهِرْ
(اصعد) أَنْتَ فَكُنْ فِي الْأَعْلَىِ، وَنَنْزَلْ نَحْنُ فَنَكُونُ فِي السُّفْلَىِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(يَا أَبَا أَيُوبَ، إِنَّهُ لَأَرْفَقُ بَنَاهُ وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي أَسْفَلِ الْبَيْتِ)
[أَحْمَد]. وَهَذَا كَانَ الرَّسُولُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَثْقُلُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، وَكَانَ
الصَّاحَبِيُّ أَبُو أَيُوبَ الْأَنْصَارِيُّ كَرِيمًا فِي ضِيَافَتِهِ، فَإِنْ صَنَعَ طَعَامًا لَا
يَأْكُلُ هُوَ وَزَوْجُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْكُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْهُ أَوْلًا، ثُمَّ يَأْكُلُانِ مِنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ حَبَّاً فِيهِ وَطَلْبًا لِبَرَكَتِهِ.

بناء المسجد

عاشَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ حَيَاةً آمِنَةً مَطْمَئِنَةً، يَغْشَاهَا الْهَدوءُ
وَالسَّكِينَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ فِي وَطْنِهِمْ
الْجَدِيدِ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ دُولَةً دِينِهِ الْإِسْلَامُ، وَقَائِدُهَا الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَوْلُ مَا فَكَرَ فِيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هُوَ بَنَاءُ مَسْجِدٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، فَيَؤُدُّونَ فِيهِ صَلَاتِهِمْ، وَيَقْضُونَ
أَمْرَهُمْ، وَيَتَشَاءُرُونَ فِيمَا يَخْصُهُمْ، فَاشْتَرَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْمَوْضِعَ الَّذِي بَرَكَتْ فِيهِ النَّاقَةُ؛ لِيَبْنِي فِيهِ الْمَسْجِدَ.

وتجمع المسلمون لبناء المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، ينطّف المكان، ويحمل معهم الطوب، ويشارك في البناء، فهذا يقطع النخيل، وهذا يحفر أماكن الأعمدة، وذاك يقيم الجدار، وأخر يعد الطين، وهذا يحمل الطوب، كلهم ينشدون:
لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُضَلِّ
وينشدون أيضًا:

لَا عَيْشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ فَارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَالْمَهَاجِرَةَ
وَمِنَ الْمَسْجِدِ بَدْأً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُمُ دُولَتَهُ،
وَكَانَ أَهْمَّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الدُّولَةِ هُمُ الْأَفْرَادُ الَّذِينَ يَعْيَشُونَ فِيهَا؛ لَأَنَّهَا
تَنْهَضُ بِهِمْ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ عَنْدَئِذٍ قَسْمَيْنَ:
-الْمَهَاجِرُونَ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ الَّذِينَ هَاجَرُوا بَدِينِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ.
-الْأَنْصَارُ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْأَصْلِيُّونَ، الَّذِينَ اعْتَنَقُوا إِلَيْهِ إِسْلَامَ،
وَاسْتَضَافُوا الْمُسْلِمِينَ فِي بَلَدِهِمْ،
وَنَصَرُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي بَدَايَةِ الْهِجْرَةِ كَانَ الْمَهَاجِرُونَ فِي الْمَدِينَةِ يَعْانُونَ مِنَ الْوَحْشَةِ
وَالْإِحْسَاسِ بِالْغَرْبَةِ، فِي حَيَاةِ الْمَدِينَةِ وَجَوْهُهَا يَخْتَلِفُانِ عَنْ مَكَّةَ، مَا
جَعَلَ أَكْثَرَهُمْ يَتَعَرَّضُ لِلنَّفَرِ، فَتَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ وَدَعَاهُ أَنْ يُحِبِّ الْمَدِينَةَ إِلَى قُلُوبِ الْمَهَاجِرِينَ، وَأَنْ
يُزِيلَ مَرْضَ الْحُمَّى عَنْهُمْ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَحَبَّبَ إِلَى
الْمَهَاجِرِينَ عِيشَةً فِي الْمَدِينَةِ، وَصَارُوا يَتَحَرَّكُونَ فِي شَوَّارِعِهَا،
وَسُوقُهَا بِحَمَاسٍ وَمَرْحٍ كَأَنَّهُمْ وَلَدُوا وَنَشَّؤُوا فِيهَا.

الصلح بن الأوس والخزرج

وكان الأنصار قبيلتين كبيرتين: الأوس، والخزرج، وكانت الحروب لا تنتهي بينهما قبل أن يعتنقوا الإسلام، فصالح الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما، ونزع الله من قلوبهم العداوة والكرابية، وحل محلها الحب والمودة والولاء.

المؤاخاة

والآن بعد أن استقر المهاجرون، وصلح حال الأنصار، بقي أن يندمجوا سوياً فيصبحوا أخوة مسلمين، فلا فرق بين مهاجر وأنصاري، لذلك آخى رسول الله ﷺ بينهم فجعل لكل مهاجر أخي من الأنصار، فأبوا بكر الصديق أخي لخارجة بن زهير، وعمر بن الخطاب أخي لعتبان بن مالك، وعبد الرحمن بن عوف أخي لسعد بن الربيع، ولم تكن الأخوة مجرد كلمة تقال، بل طبقها المسلمون تطبيقاً فعلياً فهذا سعد بن الربيع الأنصاري يأخذ أخيه عبد الرحمن بن عوف، ويعرض عليه أن يعطيه نصف ما يملك، ولكن عبد الرحمن بن عوف يشكّره ويقول له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن ذلني على السوق، وذهب عبد الرحمن إليه فربح وأكل من عمل يده. [البخاري].

ولم يقتصر ذلك على سعد بن الربيع بل فعله كثير من الصحابة حتى إنه كان يرث بعضهم بعضاً بناءً على هذه الإخوة، فيرث المهاجر أخاه الأنصاري، ويرث الأنصاري أخاه المهاجر، وظلوا على ذلك حتى جعل الله التوارث بين ذوي الأرحام، وقد أثنى الله -عز وجل- على المهاجرين والأنصار، فقال تعالى: {للقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوعوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: 8-9].

وجمعهم الله سبحانه في آية واحدة، فقال تعالى: {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آتوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حَقًا لهم مغفرة ورزق كريم} [الأنفال: 74] وفي هذا المجتمع الآمن المستقر، حيث يحب كل مسلم أخاه، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أمور دينهم فيدعوهם إلى كل خير، وينهائهم عن كل شر، وهم ينفذون ذلك راضين سعداء بهدایة الله لهم، ووجود رسول الله ﷺ بينهم، وببدأ الناس يتواഫدون إلى المدينة، معلنين إسلامهم وانضمامهم لهذه الدولة المنظمة.

اليهود في المدينة

وكان يسكن مع المسلمين في المدينة اليهود وبعض المشركين الذين يحددون على الإسلام، ويكرهون قيام دولته،

- لذلك وضع الرسول ﷺ معاهدة تنظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم حتى يأمن مكر الكفار، وهذه بعض المبادئ التي احتوتها المعاهدة:
- 1-المهاجرون والأنصار أمة من دون الناس يتعاونون فيما بينهم، وهم يد واحدة على من عاداهم.
 - 2-دماؤهم محفوظة، فلا يقتل مؤمن مؤمناً، ولا ينصر مؤمن كافراً على أخيه المؤمن.
 - 3-لليهود حرية دينهم فلا يجبرون على الإسلام.
 - 4-اليهود الذين يسكنون المدينة يشاركون في الدفاع عنها، ولا يعينون أعداء الإسلام، ولا ينصرونهم.
 - 5-كل ظالم أو آثم أو متهاون خائن لا ينفذ ما في هذا العهد عليه اللعنة والغضب، ويقوم الآخرون بحربه.
 - 6-إذا حدث خلاف في أي أمر، فإن الحكم هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وهكذا وضح الرسول صلى الله عليه وسلم حقوق كل طائفة في المدينة وواجباتها، ورسم المنهج الذي يتعاملون به بكل أمانة وعدل، فلم يظلم اليهود بل حفظ لهم حقوقهم، ورغم ذلك أظهر اليهود وجههم القبيح، وكراهيتهم للرسول صلى الله عليه وسلم رغم علمهم أنه صادق، واتضح ذلك في موقفهم من عبد الله بن سلام عندما أسلم. فقد كان عبد الله بن سلام من علماء اليهود، ومن ساداتهم، فلما أسلم كتم إسلامه، ولم يخبر اليهود، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألهم عنه أولاً، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (أي رجل فيكم ابن سلام؟)

قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، فقال: (أفرأيتم إن أسلم؟) فقالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يابن سلام، اخرج عليهم) فخرج فقال لهم: (يا معاشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق) فقالوا: كذبت. [البخاري].

وهكذا كانت عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين واضحة منذ أول يوم في المدينة رغم أنهم يعرفون أنه رسول الله حقاً وصادقاً، وقد اشتدوا في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإظهار حقدتهم عليه عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وظهرت سفاهة عقولهم واضحة حين تشاوروا فيما بينهم، واتفقوا أن يؤمنوا بدين الله أول النهار، ويکفروا في آخره حتى يسعى الناس إلى تقليدهم، والسير على خطاهم، ولكن الله فضحهم بكفرهم في كتابه الحكيم، وأظهر حقدتهم على المسلمين بعد تألف قلوب أهل المدينة من الأوس والخزرج، وسعيهم إلى الواقعة فيما بينهم، ولكنهم لم يفلحوا في ذلك.

زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة

وبعد ثمانية أشهر من الهجرة كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أنهى بناء المسجد، واستقر المسلمون في المدينة، فأتم الرسول صلى الله عليه وسلم زواجه بالسيدة عائشة ودخل بها، وكان قد عقد عليها قبل الهجرة، وكان الرسول ﷺ

بعد زواجه منها يقدرها، ويفضلها، فعن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة) قلت: ومن الرجال؟ قال: (أبوها) [الترمذى].

مرحلة الجهاد

لقد ترك المسلمون مكة كلها للكفار، وهاجروا إلى المدينة، ولكن الصراع بينهما لم ينته، بل زاد عما كان عليه في مكة، واتخذ شكلًا جديداً، بعد أن نزل الإذن من الله بقتال المشركين، قال تعالى: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبئر وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور} [الحج: 39-41]. وقد أصبح المسلمون في المدينة قوة كبيرة بانضمام الأنصار إليهم، فلماذا لا يستردون حقوقهم المسلوبة؟ وخاصة أن المدينة تقع على الطريق بين مكة والشام حيث تمر قوافل أهل مكة التجارية، لذلك قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم إرسال سرايا من جيش المسلمين يزعجون قريشاً ويستطيعون أخبارها، ومن هذه السرايا:

سرية سيف البحر

في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة خرج حمزة بن عبد المطلب ومعه ثلاثون من المهاجرين لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام يقودها أبو جهل في ثلاثة رجال، ولكن رجلاً اسمه مجدي بن عمرو صالح بين الفريقين، ولم يحدث قتال، وعرف الكفار منذ ذلك الوقت أن المسلمين مستعدون لمواجهةتهم.

سرية رابع

وفي شهر شوال من السنة نفسها خرج عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ومعه ستون رجلاً من المهاجرين، واعتربوا قافلة بقيادة أبي سفيان، وكان بينهما رمي بالنبال، ولكن لم يقع قتال.

سرية الخرار

كانت في شهر ذي القعدة من السنة الأولى، وفيها خرج سعد بن أبي وقاص ومعه عشرون مسلماً، ولكنهم لم يعثروا على القافلة التي خرجوا من أجلها، وهكذا تحول المسلمون من الضعف إلى القوة، وأصبحوا مصدراً لرعب الكفار.

غزوة الأباء (ودان)

وفي العام الثاني من الهجرة واصل الرسول صلى الله عليه وسلم إرسال السرايا لمعرفة أخبار أهل مكة، ولتدريب المسلمين على مواجهة قريش، وكان صلى الله عليه وسلم يشارك في بعض هذه الأعمال العسكرية، ومن الغزوات التي شارك فيها غزوة الأباء (ودان)، وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه مع سبعين من المهاجرين في شهر صفر لاعتراض قافلة لقريش، لكنه لم يلتقي بها فعقد معاهدة مع بني ضمرة أمّتهم على أنفسهم، ووعدهم إلا يحاربوه ولا يعينوا عليه أعداءه، وأن يقفوا إلى جانبه إذا دعاهم لذلك، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم لا يترك صغيرة أو كبيرة يؤمن بها دولته، ويقوّي علاقتها بجيرانها إلا فعلها.

غزوة بواط

وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول من السنة الثانية، ومعه مائتان من الصحابة؛ لاعتراض قافلة لقريش يقودها أمية بن خلف لكنه لم يلحق بها.

غزوة بدر الأولى

وسببها أن رجلاً اسمه كرز بن جابر الفهري اعتدى هو وبعض المشركين على مراعي المدينة ومواشيها، فطارده الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض المسلمين ولكنه فرّ هارباً، وقد وقعت هذه الغزوة قريباً من بئر بدر ولذلك سميت بدر الأولى.

غزوة العشيرة

وقد حاول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه اعتراف قافلة لقريش ذاهبة من مكة إلى الشام، ولكنه لم يدركها، فعقد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدات معبني مدلج حلفاءبني ضمرة.

سرية نخلة

خرج فيها عبد الله بن جحش الأستدي مع ثمانية مهاجرين، وأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعسكروا بين مكة والطائف في مكان يسمى نخلة فمررت قافلة لقريش في آخر يوم من شهر الله الحرام رجب، فهاجمها عبد الله ومن معه، فقتل من المشركين عمرو بن الحضرمي، وأسروا عثمان بن عبدالله بن المغيرة، والحكم بن كيسان، وفر نوفل بن عبد الله.

وعادت السرية إلى رسول الله ﷺ، فأنكر عليهم القتال في شهر الله الحرام، واشتد غضب المشركين، وقالوا: إن محمدًا قد أحل القتال في الأشهر الحرم، فاشتد ذلك على المسلمين؛ فأنزل الله -عز وجل- قوله: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل} [البقرة: 217].

فهؤلاء المشركون الذين ينكرون على المسلمين القتال في الأشهر الحرم، قد فعلوا أكبر من ذلك، حين أشركوا بالله، وأخرجوا المؤمنين من ديارهم، وحرمواهم من أموالهم وأولادهم وهذا أكبر عند الله -عز وجل- في الإثم والعقوبة.

تحويل القبلة

كان المسلمون بعد هجرتهم إلى المدينة، يتوجهون في صلاتهم نحو بيت المقدس في فلسطين، وظلوا على ذلك ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى السماء داعياً الله -تعالى- أن تكون قبلة المسلمين تجاه الكعبة، فاستجاب الله دعاء نبيه، وأنزل القرآن الكريم أمراً المسلمين بالتوجه إلى المسجد الحرام بمكة في صلاتهم، قال تعالى:

{قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} [البقرة: 144] وكان بعض المسلمين قد ماتوا قبل تحويل القبلة

فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف
إلى القبلة (أي: المسجد الحرام)

وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله:

{وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرعوف رحيم}

[البقرة: 143]. وقد شن اليهود حرباً من الجدل على المسلمين إثر

تحويل القبلة، إذ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد،

ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة

إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك،

فنزل قول الله تعالى: {سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن

قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى

صراط مستقيم} [البقرة: 142].

وقال تعالى: {ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا وجهكم فثم وجه

الله إن الله واسع عليم} [البقرة: 115].

وقال تعالى: {ليس البر أن تولوا وجهكم قبل المشرق والمغرب

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين}

[البقرة: 177].

فالله سبحانه رب الامكنة والأزمنة جميعاً، ولقد كانت عودة
المسلمين إلى الكعبة رجوعاً إلى الأصل الذي بناه أبو الأنبياء إبراهيم
عليه السلام. فتوجه المسلمون بعد ذلك إلى مكة كل يوم في
صلاتهم خمس مرات، وكان تحويل القبلة في العام الثاني من
الهجرة، وفي ذلك العام فرض الله الصوم والزكاة.

غزوة بدر الكبرى

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قافلة لقريش محمولة بالبضائع بقيادة أبي سفيان قد خرجت من الشام في طريقها إلى مكة، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه لمراقبة عير قريش، ودعا الرسول ﷺ الناس للخروج إليها، وجعل الخروج اختيارياً، فخرج معه ثلاثة وأربعة عشر مسلماً، ولم يكن معهم سوى سبعين جملاً وفرسين، فكان كل ثلاثة من المسلمين يتناوبون الركوب على جمل.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمشي على رجليه، ويتناوب الركوب مع أبي لبابة، وعلي بن أبي طالب على جمل واحد، كل منهم يركبه فترة من الزمن فقال له: نحن نمشي عنك، فقال ﷺ في تواضع عظيم: (ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكم) [أحمد] وكان أبو سفيان رجلاً ذكياً، فأخذ يتحسس الأخبار، ويسأل من يلقاء عن المسلمين خوفاً على القافلة، فقابل أحد الأعراب يسمى مجدي بن عمرو فسأله: هل أحسست أحذاء؟ فقال: إني رأيت راكبين وقفوا عند البئر، فرأينا ثم انطلقوا، فذهب أبو سفيان إلى مكانهما، وأمسك روثة من فضلات الإبل ففركها في يده، فوجد فيها نوى التمر، وكان أهل المدينة يعلفون إبلهم منه، فقال أبو سفيان:

هذه والله علائق يترب. وعلم أن الرجلين من المدينة،

ورسول الله ﷺ في طريقه إليهم، فغير طريقه بسرعة وفر هارباً بقافلته، وأرسل إلى قريش يستنجد بهم؛ ليحموه من المسلمين،

ووصل رسول أبي سفيان إلى قريش، ووقف على بعيره، وأخذ ينادي ويصيح: يا معاشر قريش! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها .. الغوث، الغوث .. وظل الرجل ينادي حتى تجمع الناس، وخرجوا بأسلحتهم وعدتهم ليحموا أموالهم. في الوقت نفسه كان أبو سفيان قد نجا بالقافلة، وأرسل إلى قريش يخبرهم بذلك، فرجع بعضهم، وكاد القوم يعودون كلهم؛ لأنهم ما خرجوا إلا لحماية قافتهم، ولكن أبا جهل دفعه الكبر والطغيان إلى التصميم على الحرب، وعزم على أن يقيم هو والمشركون ثلاثة أيام عند بئر بدر، بعد أن يهزم المسلمين فيأكلون الذبائح، ويشربون الخمور، وتغني لهم الجواري حتى تعلم قبائل العرب قوة قريش، ويهاها الجميع، وهكذا أراد الله -تعالى- أن تنجو القافلة، وأن تقع الحرب بين المسلمين والمشركين.

وأصبح المسلمون في موقف حرج؛ لأن عددهم أقل من عدد المشركين، وببدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير كبار المهاجرين والأنصار في أمر القتال، فتكلم المهاجرون كلاماً حسناً، أيدوا فيه الرسول ﷺ في قتال المشركين، وقال المقداد بن عمرو: (يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك) ولكن النبي صلى الله عليه وسلم ظل ينظر إلى القوم، وهو يقول: أشيروا علي أيها الناس.

ففهم سعد بن معاذ كبير الأنصار أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد رأي الأنصار، فقد تكلم المهاجرون،

وأيدوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وبقيت كلمة الأنصار،
فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، لقد آمنا بك، وصدقناك وشهدنا أن
ما جئت به هو الحق، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك. [ابن إسحاق]
فَشَرِّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَفَاقُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَوْاجِهَةِ
الْكُفَّارِ. وَبَدَا الْفَرِيقَانِ يَسْتَعْدَانِ لِلْمُعْرِكَةِ، وَأَوْلُ شَيْءٍ يَفْكَرُ فِيهِ الْقَادِهُ
هُوَ مَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَمَاعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ عَلَيْهَا وَسَعَدًا وَالْزَبِيرَ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ؛ لِيَعْرُفُوا أَخْبَارَ
الْكُفَّارِ، فَوَجَدُوا غَلَامَيْنِ لِقَرِيشٍ، فَأَخْذُوهُمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَسَأَلُوهُمَا عَنْ عَدْدِ قَرِيشٍ، فَقَالَا: لَا نَدْرِي، فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَمْ يَنْحِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ مِنِ الْإِبْلِ. فَقَالَا: يَوْمًا
تَسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا. وَكَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ يَكْفِي
مَائَةً رَجُلًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنِ التِّسْعَمَائَةِ وَالْأَلْفِ)
[ابن إسحاق]. وَهَذَا يَضْرِبُ لَنَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلًا فِي الْقِيَادَةِ
الْحَكِيمَةِ، وَالتَّفْكِيرِ السَّلِيمِ لِمَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَلَامَيْنِ:
(فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قَرِيشٍ؟) فَعَدَا لَهُ أَشْرَافُ قَرِيشٍ، وَسَادِتُهَا،
وَكَانُوا عَلَى رَأْسِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (هَذِهِ مَكَةُّ الَّتِي قَدْ أَلْقَتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَازَ أَكْبَادِهَا)
وَهَذَا عَرَفَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدْدَ أَعْدَائِهِ، وَأَسْمَاءَ
كَبَارِهِمْ أَيْضًا،

وعلى الجانب الآخر أرسل الكفار رجلاً منهم وهو عمير بن وهب
ليعرف عدد المسلمين، ثم عاد فقال: ثلاثة رجال،
يزيدون قليلاً أو ينقصون.

وصل المسلمون إلى مكان بئر بدر، فأقاموا عليه، وجعلوه خلفهم
حتى يتمكنوا من الشرب دون الكفار، وأشار سعد بن معاذ على النبي
صلى الله عليه وسلم أن يتتخذ عريشاً (مكاناً مظللاً) يشرف من
خلاله على المعركة، ويقوم بإدارتها، فقبل الرسول صلى الله عليه
 وسلم ودعا له بالخير، ونظم الرسول صلى الله عليه وسلم صفوف
جيشه تنظيماً دقيقاً، فجعله كتيبتين؛ واحدة للمهاجرين عليها
علي بن أبي طالب، والأخرى للأنصار ولواؤها مع سعد بن معاذ،
وجعل ميمونة الجيش مع الزبير بن العوام،
وجعل المقداد بن الأسود قائداً لميسرة الجيش،
وجعل على قيادة مؤخرة الجيش قيس بن صعضة.

أما القيادة العامة للجيش فكانت في يد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، أو صاهم صلى الله عليه وسلم بالحكمة في استعمال النبال
 ضد أعدائهم، فلا يضربونهم حتى يكونوا في مرمى السهام وفي
 متناول أيديهم، ولا يستخدمون سيفهم حتى يقتربوا منهم، وتوجه
 الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه ورفع يديه في خشوع
 وضراوة قائلاً: (اللهم أجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهداً
 ووعدك) وظل يدعوا حتى وقع رداؤه عن كتفه من كثرة الدعاء،
 فأشفق عليه أبو بكر، وقال له: أبشر يا رسول الله، فوالذي نفسي
 بيده لينجزن الله لك ما وعدك. [متفق عليه].

وحقق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة، ثم انتبه وقال: (أبشر يا أبا بكر! أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بزمام فرسه عليه أداة حرب) فقد أرسل الله ملائكته تأييضاً للمسلمين، فقال تعالى: {فاستجيب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: 9].

أحداث المعركة

قبيل القتال وقف الرسول ﷺ يعظ المسلمين، ويذكرهم بالصبر والثبات والقتال في سبيل الله، ويبشرهم بجنة الله، وجاء الأسود بن عبد الأسد يهجم على حوض المسلمين، وقد أقسم أن يشرب منه، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فضربه ضربة شديدة على رجله واستمر الرجل يزحف ويuanد حتى يفي بقسمه، فأسرع حمزة بضربه ضربة ثانية، سقط بعدها قتيلاً إلى جانب الحوض.

وبدأت المعركة صباح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان، العام الثاني للهجرة، وتقدم ثلاثة من كبار المشركين وهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وابنه الوليد بن عتبة، فنهض لهم ثلاثة من الأنصار، لكن المشركين ردوا عليهم، وأرادوا مبارزة المهاجرين، ثم نادى مناديهما قائلاً: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، وقم يا علي .. فوثبوا على أعدائهم كالأسود، وفي لمح البصر قتل حمزة شيبة بن ربيعة،

وُقْتَلَ عَلَيْ الْوَلِيدِ بْنِ عَتْبَةَ، أَمَّا عَبِيْدَةَ فَتَبَادَلَ الضَّرَبَ مَعَ عَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَجَرَحَ كُلَّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، فَوَثَبَ حَمْزَةُ وَعَلِيُّ عَلَى عَتْبَةَ، فَقُتِلَاهُ وَحَمْلًا صَاحِبَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ.

وَيَظْهَرُ تَأْيِيدُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِأَوْلِيَائِهِ فِي شَهُودِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمَعرِكَةِ، قَالَ تَعَالَى: {إِذْ يَغْشِيْكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيَطَهَّرُكُمْ بِهِ وَيَذْهَبُ عَنْكُمْ رَجْزُ الشَّيْطَانِ وَلِيُرِيْطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيَثْبِتَ بِهِ الأَقْدَامَ . إِذْ يَوْحِيُ رَبُّكُمْ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتَّوْا الَّذِينَ آمَنُوا سَالْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يَشَاقِقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِ عَذَابَ النَّارِ} [الأنفال: 11-14].

رَأَى الْمُشْرِكُونَ ثَلَاثَةَ مِنْ كُبَارِهِمْ قَدْ قُتِلُوا، فَغَضِبُوا لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَظَنُوا أَنَّهُمْ يُسْتَطِيعُونَ هَزِيمَتِهِمْ بِسَهْلَةٍ، فَدَخَلُوا فِي مَعرِكَةٍ حَامِيَةٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَتَسَاقَطُونَ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْآخَرِ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَأُسْرَ سَبْعُونَ. وَفِي هَذِهِ الْمَعرِكَةِ، التَّقَى الْأَبَاءُ بِالْأَبْنَاءِ، وَالْإِخْرَوَةُ بِالْإِخْرَوَةِ، فَفَصَلَتْ بَيْنَهُمُ السَّيُوفُ؛ فَأَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي صَفَ الإِيمَانِ وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقْاتِلُ فِي صَفَوْفِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَذَلِكَ عَتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، فَكَانَ ولَدُهُ أَبُو حَذِيفَةَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا سُحِبَتْ جَثَّةُ عَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ لِتُرْمَى فِي الْقَلِيبِ، نَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى أَبِي حَذِيفَةَ فَإِذَا هُوَ كَئِبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ!! فَاسْتَوْضَحَ مِنْهُ سُرُّ حَزْنِهِ،

وهل هو حزين لمقتل أبيه أم لشيء في نفسه؟
فأخبره أبو حذيفة أنه ليس حزيناً لمقتل أبيه في صفوف
المشركين، ولكنه كان يتمنى أن يرى أباه في صفوف المسلمين لما
يتمتع به من حلم وفضل. [ابن إسحاق].

وحين مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقليل على قتلى
قريش، ناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقال لهم: (أيسركم أنكم
أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربياناً حقيقة، فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقاً؟) فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا
أرواح لها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس
محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم). [البخاري].

وعاد المسلمون إلى المدينة، وقد نصرهم الله -تعالى- على عدوهم
في أولى المعارك التي خاضوها، وهما هؤلاء يجررون معهم سبعين
أسيراً من المشركين بعد أن قتلوا سبعين منهم، وفي الطريق قُتلَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين من أكابر المجرمين
الموجودين في الأسرى؛ وهما النضر بن الحارث،

وعقبة بن أبي معيط لأنهما طغيا وأذيا المسلمين إيذاءً شديداً،
أما باقي الأسرى فتشاور الرسول ﷺ مع الصحابة في أمرهم هل
يقتلونهم أم يقبلون الفدية ويطلقونهم؟ فأشار عمر بن الخطاب
-رضي الله عنه- أن يقتلوهم، وأشار أبو بكر -رضي الله عنه- أن
يطلقوا سراحهم مقابل فدية (مبلغ من المال) تكون عوناً للمسلمين
على قضاء حواجزهم، وأخذ الرسول ﷺ برأي أبي بكر.
ولكن القرآن الكريم نزل يؤيد رأي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-

فقال الله تعالى: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} [الأنفال: 67-68].

مواقف إيمانية من غزوة بدر

كان للصحابة مواقف إيمانية رائعة أثناء غزوة بدر؛ فقد اختفى عمير بن أبي وقاص خلف المقاتلين المسلمين قبل المعركة حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمرده لأنّه صغير، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعرض جنوده رأه، فاستصغره وأمره أن يرجع، ولكن عميراً كان حريضاً على الاشتراك في المعركة؛ لأنّه يحب الموت في سبيل الله، فبكى عمير، فلما رأه الرسول صلى الله عليه وسلم يبكي تركه، فمات شهيداً، وهو ابن ستة عشر عاماً.

وجاء فتيان من الأنصار يسألان عبد الرحمن بن عوف عن مكان أبي جهل، فقد علموا أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدلهمما على مكانه وإذا بهما يسرعان إليه، ويضربانه بالسيف حتى قتلاه، وهذا البطلان هما معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراط. [متافق عليه] ومَرْ مصعب بن عمير بأخيه المشرك أبي عزيز بن عمير الذي وقع في أسر المسلمين، وأحد الأنصار يقيد يديه، فقال للأنصاري: شد يدك به، فإن أمه ذات متعاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز: أهذه وصاتك بأخيك؟ فقال مصعب: إنه -يقصد الأنصاري- أخي دونك.

وقد ضرب المسلمين أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فعندما سمع عمير بن الحمام الأنصاري قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض) قال: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم .. فقال: بخ .. بخ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما يحملك على قول بخ .. بخ؟) قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات، وأخذ يأكلها، ثم قال: لئن حبست حتى أكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتل المشركين حتى قتل. [مسلم].

وقاتل عكاشه بن محسن يوم بدر بسيفه حتى انكسر في يده من شدة القتال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه عود حطب فقال: (قاتل بهذا يا عكاشه)

فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه، فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وهكذا كتب الله تعالى للMuslimين النصر، فحق لهم أن يسعدوا ويستبشروا، وأوجب على المشركين الهزيمة، فحل بهم الخزي والعار.

وقد قويت دولة المسلمين بهذا النصر الذي حققوه بقوة الإيمان، ثم بحسن التخطيط رغم أنهم كانوا أقل من عدوهم في العدد والعدة، قال تعالى: {ولقد نصركم الله بقدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرن} [آل عمران: 123].

حالة قريش بعد بدر

امتلأت مكة بالغيظ والحزن، فقد هزمهم المسلمون، وقتلوا أشرافهم، ولم تكن قريش تتوقع أن تناول مثل هذه الهزيمة من المسلمين، فهذا أبو لهب -ولم يشهد بدرًا- يرى أبا سفيان بن الحارث قادماً فيسرع إليه ويقول له -وهو يريد أن يفهم كيف هزم المسلمين قومه وهم أكثر منهم-: يا بن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟

فقال أبو سفيان: والله ما هو إلا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله (يمين الله) مع ذلك ما لقت الناس، لقينا رجالاً بيضاء، على خيل بلق (لونها بياض وسوداد) بين السماء والأرض،

فقال رافع مولى العباس بن عبد المطلب -وكان مسلقاً يكتتم إسلامه-: تلك والله الملائكة، فإذا بالغيظ يملأ وجه أبي لهب، فرفع يده وضرب أبا رافع على وجهه ثم حمله وضرب به الأرض، ثم برك عليه يضربه، فقامت أم الفضل

-زوجة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم- إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربت به أبا لهب ضربة أصابته في رأسه، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام أبو لهب مولياً ذليلاً، وما عاش بعد ذلك إلا سبع ليال حتى أصابه الله بمرض خطير فقتلته.

مؤامرة عند الكعبة

وعند أحد أركان الكعبة، كان يجلس اثنان من كبار المشركين هما: صفوان بن أمية، وعمير بن وهب يتذكراً قتلاهما في بدر، وأسراهما في المدينة، فاتفقاً أن يذهب عمير بن وهب إلى المدينة متظاهراً بفداء ابنه الأسير وهب، ثم يضرب الرسول ﷺ بالسيف فيقتله ويثار للكفار منه، ووعلده صفوان بن أمية برعاية أبنائه وزوجته من بعده إذا أصابه مكروه.

وعندما وصل المدينة رأه عمر متتوشحاً سيفه فقال: هذا عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متتوشحاً سيفه، قال: فأدخله عليّ، فأقبل عمر فامسكه وقيده وأمسك سيفه، وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر، ادن يا عمير).

فدنى ثم قال: انعموا صباحاً - وهي تحيية أهل الجاهلية -. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، تحيية أهل الجنة) ..
قال: أما والله يا محمد أن كنت بها لحديث عهد.
قال: (فما جاء بك يا عمير؟)

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه.
فقال صلى الله عليه وسلم: (فما بال السيف في عنقك؟)
قال عمير: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟
قال صلى الله عليه وسلم: (اصدقني، ما الذي جئت له؟)
قال: ما جئت إلا لذلك.

قال صلى الله عليه وسلم: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش (قتلاهم في بدر) ثم قلت: لو لا ذئن علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، وقد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، وشهد عمير شهادة الحق ودخل في دين الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(فقهوا أحكام في دينه وأقرئوه شيئاً من القرآن، وأطلقوا له أسيره).
ففعلوا. ثم قال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوههم إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم، كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب إلى مكة،

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل الركبان عن عمير، حتى قدم رجل فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً، ولما قدم عمير مكة أقام بها يدعوا إلى الإسلام، ويؤذى من خالقه أذى شديداً، فأسلم على يديه كثيرون. [ابن إسحاق].

غزوة بنى سليم (غزوة الكذر)

حشد بنو سليم جنودهم، واستعدوا لغزو المدينة وحرب المسلمين بعدما رأوا هزيمة قريش في بدر، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فلم ينتظر حتى يأتوا المدينة بل قام بمحاجتهم هجوماً مفاجئاً أدخل الرعب في قلوبهم فهربوا من هول المفاجأة، وتركوا خمسمائة بعير استولى عليها المسلمون، وأقاموا في ديار هذه القبائل ثلاثة أيام، ولم يكتفي الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكن بعد ما قدم المدينة أرسل غالب بن عبد الله في سرية إلى بنى سليم وغطفان فقاتلواهم، وانتصر المسلمون وغنموا مغاناً كثيرة.

اليهود ونقض العهد

لم يحترم اليهود عهودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فحاولوا إشعال الفتنة بين صفوف المسلمين، فهذا شاس بن قيس اليهودي أرسل فتى من فتيان اليهود يذكر الأنصار بما كان بينهم في الجاهلية، ففعل الفتى حتى كادوا أن يتقاتلوا،

فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، ونهاهم عن العودة إلى الجاهلية، وذكرهم بالإسلام والحب الذي ربط الله به قلوبهم، فعادوا إلى رشدهم وصوابهم. ولما نصر الله رسوله والمسلمين على المشركين في غزوة بدر حسدتهم اليهود على ما أنعم الله تعالى به عليهم، فقال فنحاص اليهودي: لا يغرن محمدًا أن غالب قريشاً وقتلهم، إن قريشاً لا تحسن القتال، فلما بلغ رسول الله صلی الله عليه وسلم ما قاله جمع اليهود في سوقبني قينقاع وحدرهم من الغدر ودعاهم إلى الإسلام، وذكرهم بما عندهم من العلم برسالته ونبوته فقال لهم: (احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنينبي مرسلاً تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم) فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك؟

لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبحت فرصة، أما والله لئن حاربتنا لتعلمنا أنا نحن الناس. فأنزل الله - سبحانه - على نبيه من القرآن ما يجيئهم به ويرد عليهم ما قالوا وما بغو، فقال تعالى: {قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهداد . قد كان لكم آية في فئتين التقى فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأ بصار} [آل عمران: 12-13].

إن كلام اليهود هذا تهديد واضح للرسول صلی الله عليه وسلم بالحرب، وتأكيد لنقضهم لمعاهدة التي بينهم وبينه، ومع ذلك فقد صبر عليهم الرسول صلی الله عليه وسلم ولكنهم أصرروا على نقضهم للعهود

طرد يهودبني قينقاع من المدينة

ذات يوم ذهبت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع لبيع ذهب معها، فاحتال عليها اليهود لتكشف وجهها فأبى، فأخذ الصائغ طرف ثوبها، وربطه إلى ظهرها - وهي لا تعلم - فلما قامت انكشفت عورتها، وأخذوا يضحكون منها،

فصاحت المرأة تستغيث بعد أن طعنت في كرامتها، فوثب رجل مسلم على اليهودي الذي أهان المرأة فقتله، فقام اليهود بقتل ذلك المسلم، فكان شهيداً في سبيل الله، فقامت الحرب بين المسلمين واليهود بسبب غدرهم ووقاحتهم وسوء أدبهم. [الواقدي].

فلما علم بنو قينقاع بقدوم المسلمين فروا إلى حصونهم واختبئوا فيها؛ فحاصرهم المسلمون وحبسوهم في حصونهم، واستمر هذا الحصار خمسة عشر يوماً، بعدها اضطر اليهود إلى أن يفتحوا الحصون ويستسلموا رباعاً وخوفاً من المسلمين، فجاء عبد الله بن أبي بن سلول، وقال: (يا محمد أحسن في موالي) (حلفائي) وظل ابن سلول يتشفع لهم عند الرسول حتى اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بطردهم من المدينة، فخرجوا تاركين وراءهم أموالهم غنية للMuslimين، وذهبوا إلى بلدة تسمى أذرعات في الشام، وهناك سلط الله عليهم وباء مات فيه أغلبهم.

قتل كعب بن الأشرف اليهودي

بقيت في المدينة طائفتان كبيرتان من اليهود: بنو النضير، وبنو قريظة، وما زالوا يعادون المسلمين رغم العهد الذي قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، فهذا رجل من أغنيائهم اسمه كعب بن الأشرف، لم يكتف بالحزن على قتل الكفار في بدر، بل ذهب إلى مكة وعزّاهم، وأخذ يرثي قتلاهم بشعره ويشعّل نار الثأر في قلوبهم كي يحاربوا المسلمين، ولم يكتف بهذا، فقد تطاول بإيذاء المسلمين مباشرة فأخذ يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة -رضي الله عنهم- ويقع في أعراضهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لکعب بن الأشرف؛ فإنه قد آذى الله ورسوله؟) فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: (نعم) قال: فأذن لي أن أقول شيئاً (أي يعيّب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يطمئن إليه كعب) قال صلى الله عليه وسلم: (قل) فذهب محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف اليهودي، فقال له: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة (أي مالاً) وإنه قد عناها (اتعبنا) وإنني قد أتيتك أستسلفك (أي أطلب منك مالاً) قال كعب: وأيضاً والله لتملنه (يصيّبكم الملل من صحبة محمد) قال محمد بن مسلمة: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه (نتركه) ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين (الوسق: كيل معلوم) فقال: نعم ارهنوني.

قالوا: أي شيء تريده؟ قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم؟ قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللامة (السلاح) فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة. فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين المخرج هذه الساعة؟ قال: إنما هو محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، فنزل إليهم وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال أبو نائلة: ما أریت كالیوم ریحاً أطیب، أتاذن لی أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فلما استمکن منه قال: دونکم فاقتلوه، فقتلوه، ثم أتوا النبي صلی اللہ علیہ وسلم فأخبروھ. [الترمذی].

غزوة السویق

بينما كفار مكة يعيشون في حزن وغم لما أصابهم في غزوة بدر التي لم تترك لهم كرامة ولا كبرىء بين قبائل العرب، قام أبو سفيان من بينهم وأقسم أن يغزو المدينة، وخرج أبو سفيان ومعه مائتان من الفرسان، فدخلوا المدينة في الليل كاللصوص، وذهب أبو سفيان إلى سلام بن مشكّم سيد يهودبني النضير،

فاستقبله أحسن استقبال، وعرفه أخبار المسلمين، فقام أبو سفيان ومن معه بحرق عدد من نخيل الأنصار، وقتلوا رجلين من الأنصار في أرضهما، وفروا هاربين. وعندما علم الرسول ﷺ بأمرهم أسرع لمطاردتهم،

ولكنهم فروا، وأخذوا يرمون ما معهم من طعام لتخف أحمالهم، حتى ينجوا من أيدي المسلمين، وسميت هذه الغزوة بـ (غزوة السُّوِيق) نسبة لما كان يلقىه المشركون من الطعام.

سرية زيد بن حارثة

في شهر جمادى الآخرة من العام الثالث من الهجرة، كان أهل مكة في حيرة شديدة فهم يريدون إرسال القافلة التجارية إلى الشام، ولكن كيف والمسلمون يقفون في الطريق بحذاء البحر الأحمروها هي ذي القبائل المحيطة بالمدينة قد سالت الرسول صلى الله عليه وسلم ولن تدع قريشاً تمر بسلام، فما العمل؟

اقترح الأسود بن عبد المطلب أن تسير القافلة في صحراء نجد بوسط الحجاز ومنها إلى العراق ثم الشام، فهو طريق طويل بعيد جدًا عن المسلمين، ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم نباء تلك القافلة أمر زيد بن حارثة بالخروج في مائة راكب من المسلمين لمحاجتهم، فخرجوا وفاجئوا المشركين واستولوا على القافلة كاملة، وأصبح الكفار بين أمرتين لا ثالث لهما: إما مهادنة المسلمين حتى لا يقطعوا طرق تجارتهم إلى الشام، وإما الدخول في حرب شاملة ضد المسلمين، للقضاء عليهم واحتقار المشركين الأمر الثاني وهو الحرب الشاملة.

غزوة ذات الرقاع

ما زال الكفار يهددون المسلمين، ويشكلون خطراً عليهم، فهذه قبائل غطفان تجتمع للهجوم على المدينة، فكان لابد من الخروج إليهم وردعهم قبل أن يهاجموا المسلمين.

فخرج المسلمون في شهر ربيع الأول من العام السابع من الهجرة، وهم لا يبالون بالتعب، يتداول كل ستة منهم ركوب بعير واحد، ويسيرون في الجبال، وفوق الصخور، حتى أصيّبت أقدامهم وسقطت أظافرهم، فأخذوا يلفون أرجلهم بالخرق والرقاع (القماش القديم)، فسميت هذه الغزوة باسم ذات الرقاع، وتسمى أيضاً بغزة نجد.

فلما علمت قبائل غطفان بقدوم المسلمين هربت، فلم يقع قتال، وعاد المسلمون منتصرين. وفي طريق العودة اشتد الحر عليهم، وجاء وقت القيولة فنزلوا في وادٍ كثیر الأشجار، وتفرق المسلمون يستظلون فيه.

وقد نام الرسول (تحت شجرة وعلق سيفه بها، فإذا بأعرابي كافر يأتي فياخذ السيف، فشعر به الرسول، واستيقظ من نومه، فقال الأعرابي: من يمنعك مني؟ فقال رسول الله (: "الله". وإذا بالأعرابي يرتعد ويسقط السيف من يده، فأخذه النبي (ثم عفا عن الأعرابي وتركه. [متفق عليه].

غزوة أحد

خرج مشركو قريش من غزوة بدر وقد وهنت قواهم؛ حيث فرق المسلمون شملهم، وقتلوا أشرافهم، وأضعفوا شوكتهم بين قبائل الجزيرة العربية، فكان لابد لهم من التأر، ورد الهزيمة على المسلمين، وكسر شوكتهم، فجمع أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل من قريش وكنانة والأحابيش (حلفاء قريش) وخرجت معهم النساء ليشجعن الرجال على القتال، ومن بينهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، وكان قلبها يشتعل بنار الألم لمقتل أبيها وأخيها في غزوة بدر، ونظم الكفار جيشهم فجعلوا قيادة الجيش لأبي سفيان، وقيادة الفرسان خالد بن الوليد، ومعه عكرمة بن أبي جهل.

وتوجه الجيش إلى المدينة، وعلم المسلمون بتحرك المشركين وقدومهم إليهم فحملوا أسلحتهم، والتفوا حول نبيهم، وظلوا حارسين لمدينتهم ليل نهار، وإذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يجمع أصحابه، ويستشيرهم في الأمر، فرأى بعضهم لا يخرج المسلمون من المدينة، وأن يتحصنوا فيها، فإذا دخلها المشركون قاتلهم المسلمون في الطرق وحصدوهم حصداً، فهم أعلم بمسالك مدinetهم ورأى البعض الآخر - وخاصة الذين لم يشهدوا القتال يوم بدر - أن يخرجوا لمقابلة المشركين خارج المدينة.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحاب الرأي الأول، ومع ذلك وافق على الرأي الثاني؛ لأن أصحاب هذا الرأي أتوا عليه، ولم يكن الوحي قد نزل بأمر محدد في هذا الشأن،

ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم بيته ولبس ملابس الحرب، وخرج إلى الناس، وشعر الصحابة الذين أشاروا على الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج بأنهم أكرهوه على ذلك، فقالوا له: استكرهناك يا رسول الله، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد (أي: إن شئت عدم الخروج فلا تخرج) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (أي درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه) [أحمد].

وخرج النبي ﷺ من المدينة في ألف من أصحابه، في شوال سنة ثلاث من الهجرة، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد، رجع عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الجيش، وتبعهم عبد الله بن حرام يناشدهم الله أن يرجعوا، ولا يخذلوا نبيهم، وينصحهم بالثبات، ويذكرهم بواجب الدفاع عن المدينة ضد المغirين، ولكن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يكن ثابتاً في قلوبهم، ولذلك لم يستجيبوا له، وقال ابن سلول: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فنزل فيهم قوله تعالى: {وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان} [آل عمران: 167].

واختلف المسلمون في أمر هؤلاء المنافقين، ففرقة منهم تقول نقاتلهم، وأخرى تقول دعوهم، فنزل قوله تعالى: {فما لكم في المنافقين فتنتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله} [النساء: 88] وكان الرسول ﷺ قد أعطى اللواء مصعب بن عمير، واستعرض النبي ﷺ الجيش يومئذ، فرد الصغار الذين لا يقدرون على القتال،

وكان منهم يومئذ: عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم وعمرو بن حزم.

وهذا رافع بن خديج عمره خمس عشرة سنة يريد أن يشارك في المعركة، فيلبس خفين في قدميه ليبدو طويلاً، فلا يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوسط له عمه ظهير، فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجيد الرماية،

فقبله وعندئذ قال سمرة بن جندب: أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم رافعاً وردني وأنا أقوى، وأصرع رافعاً وأغلبه، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصارعه، فغلب سمرة رافعاً، فقبله الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان الفتى المسلم الصغير يحرص على التضحية بروحه من أجل دينه والدفاع عنه.

واقتصر بعض الصحابة الاستعانة باليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك) _ [ابن سعد] وعسكر المسلمون في شغب في جبل أحد، وجعلوا الجبل خلف ظهورهم، واختار الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين رجلاً يحسنون الرماية، وجعل عبد الله بن جبير قائداً عليهم وقال لهم: (لا تبرحوا (لا تتركوا) مكانكم؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم (انتصرنا) فلا تبرحوا، وإن رأيتموه ظهروا علينا فلا تعينونا) _ [البخاري]. وهكذا أغلق الباب أمام التفاف الأعداء حول جيشه، وحمى يمينه بالجبال، وفي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، بدأت المعركة وانقض المسلمين على المشركين، فقتلوا حملة لواء المشركين، فكانوا يسقطون واحداً بعد الآخر حتى سقط اللواء ولم يجد من يحمله،

وكان الفارس الشجاع حمزة بن عبد المطلب -عم النبي صلى الله عليه وسلم- ينقض بسيفه على المشركين، فيطيح بهم، وكان وحشى بن حرب ينظر إلى حمزة من بعيد ويتباهي حيث كان، ذلك لأن سيده جبير بن مطعم بن عدي الذي قتل عمه طعيمة بن عدي يوم بدر قال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعفي، فأنت عتيق (حر).

وكان وحشى عبداً حبشياً يقذف بالحربة بمهارة شديدة، فقلما يخطئ بها شيئاً، فاقترب وحشى من حمزة، ورماه بالحربة فأصابته، لكن حمزة لم يستسلم، بل توجه إلى وحشى ودمه ينزف بغزاره، فلم يستطع الوقوف على قدميه، فوقع شهيداً في سبيل الله، وسيطر المسلمون على المعركة، وأكثروا القتل والأسر في جنود المشركين، وحاول المشركون الفرار، فذهب المسلمون وراءهم، فكان المشركون يتذرون متاعهم وسلاحهم لينجوا من القتل. وكان الرماة على الجبل يشاهدون المعركة، فظنوا أنها قد انتهت بانتصار المسلمين؛ فتركوا أماكنهم، ونزلوا من فوق الجبل ليشاركون في جمع الغنائم فتركوا ظهر المسلمين مكشوفاً لعدوهم، فانتهز خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين فرصة الخطأ الذي وقع فيه رماة المسلمين، فاستدار وجاء من خلف الجيش، وقتل من بقي من الرماة، فاختل نظام المسلمين وارتباكاً، ونجح المشركون في قتل كثيرين منهم. كل هذا البلاء لأن بعض الرماة خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبدل الحال

وركز المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ولكنه صلى الله عليه وسلم ثبت لهم، وأخذ يدافع عن نفسه، وحوله بعض الصحابة مثل: طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم-. وكانت المرأة الأنصارية الشجاعة نسيبة بنت كعب تدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم كالرجال، حتى نجي الله رسوله صلى الله عليه وسلم من الموت، ولكنه تعرض لإصابات كثيرة في ركبته، ووجهه، وأسنانه، وسال الدم على وجهه الشريف، فأخذ يمسح الدم وهو يقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم (غيرروا لونه للاحمرار من كثرة الدم) وهو يدعوهم إلى ربهم) [أحمد].

وعندما فشل المشركون في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أشاعوا أن محمداً قتل، لكي يؤثروا في عزيمة المسلمين، ويثيروا الذعر بينهم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أصحابه: (هم إلى عباد الله) فاجتمع حوله عدد من أصحابه، وارتقت روحهم المعنوية، وظل النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثبت معه في أرض المعركة، بل قاتلوا حتى اللحظة الأخيرة، إلى أن اكتفت قريش بما حققت وانصرفوا بعد انتهاء المعركة.

ولما انقضت الحرب، صعد أبو سفيان على مكان مرتفع، ونادى في المسلمين: أفيكم محمد؟ فلم يرد عليه أحد، فقال: أفيكم أبو بكر؟ فلم يرد عليه أحد، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يرد عليه أحد، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فلم يتمالك عمر نفسه، فرد عليه قائلاً: يا عدو الله، إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقي الله لك ما يسوءك، ثم قال أبو سفيان أعل هبل،

فقال النبي ﷺ : (ألا تجيبونه؟) قالوا: ما نقول؟
 قال صلى الله عيه وسلم: (قولوا الله أعلى وأجل) ثم قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال ﷺ : (ألا تجيبونه؟)
 فقالوا: ما نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم:
 (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم) [البخاري].
 وعاد المشركون إلى بلدهم، وقد انتشرت في ساحة القتال جثث
 شهداء المسلمين وقتلى الكفار، وقد ارتوت الرمال بدماء الشهداء
 الطاهرة التي أريقت من أجل الإسلام، فياله من مشهد حزين!!
 سبعون شهيداً من المسلمين، واثنان وعشرون قتيلاً من المشركين،
 وحزن المسلمين حزناً شديداً على شهدائهم، ووقف رسول الله ﷺ
 حزيناً ينظر إلى جثة عمه حمزة -رضي الله عنه-. وقد مثل به
 الأعداء، فأقسم ليُقتلَّ بسبعين من الكفار إن نصره الله عليهم بعد
 ذلك، فنزل قول الله تعالى: {وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ
 وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُو خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: 126].

صور بطولية من المعركة

تجلت صور رائعة من البطولة والشجاعة والإيمان لرجال ونساء
 المسلمين في غزوة أحد، وكذلك حدثت بعض المعجزات، لتكون
 عظة وذكرى وتبرة للمؤمنين، فهذا أبي بن خلف يقبل على النبي
 صلى الله عليه وسلم وكان قد حلف أن يقتله، وأيقن أن الفرصة قد
 حانت،

فجاء يقول: يا كذاب، أين تفر؟ وحمل على الرسول صلى الله عليه وسلم بسيفه، فقال ﷺ : (بل أنا قاتله إن شاء الله) وطعنه صلى الله عليه وسلم طعنة وقع منها، فما لبث أن مات. [البيهقي]. ويمسك رسول الله ﷺ بسيفه قبل بدء المعركة ويقول: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فتأخر القوم، فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ فقال ﷺ :

(أن تضرب به في العدو حتى ينحني) فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فأعطيه إياه. [مسلم] وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكانت له عصابة حمراء إذا اعتقد أنها يقاتل حتى الموت، فأخذ أبو دجانة السيف وهو يقول:

أنا الذي عاهدك خليلي وتحن بالسُّفْحِ لَدِي التَّخِيلِ
الْأَقْوَمُ الْدَّهَرُ فِي الْكَيْوُلِ أَضْرَبُ بَسِيفَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ
وَالْكَيْوُلُ هِيَ مُؤْخِرَةُ الصُّفُوفِ، فَكَانَهُ يَقُولُ: لَنْ أَكُونَ أَبْدًا إِلَّا فِي
الْمُقْدَمَةِ مَا دَمْتُ أَحْمَلُ هَذَا السِّيفِ.

وأخذ (أبو دجانة) يضرب المشركين بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأثناء المعركة رأى أبو دجانة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أصبح هدفاً لنبال المشركين بعد أن فرّ المسلمون، فأسرع أبو دجانة واحتضن الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار النبل يقع على ظهر أبي دجانة وهو منحن على جسم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهت المعركة. [أحمد].

ومرّ (أنس بن النضر) -رضي الله عنه- على بعض الصحابة فوجدهم لا يقاتلون، وعندما سأله عن سبب امتناعهم عن القتال،

قالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال أنس: ما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توجه إلى الله تعالى وقال: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء المسلمين الفارون) وأبراً إليك مما صنع هؤلاء أي (المشركون المعتدون) وظل أنس يقاتل حتى قتل، فوجدوا في جسده بضعا وثمانين جرحاً ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، فما عرفه أحد إلا اخته بعلامة كانت تعرفها في إصبعه.

وهذا غسيل الملائكة (حنظلة بن أبي عامر) الذي تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، وفي اليوم التالي لزواجه يسمع نداء القتال، فيخرج وهو جنب ملبيا النداء، ويقاتل في سبيل الله حتى يقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن صاحبكم تغسله الملائكة). [ابن إسحاق]. وهذا (قتادة بن النعمان) أصيّبت عينه، ووّقعت على خده، فأتى رسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ عينه بيده، وردها إلى موضعها، وقال: (اللهم أكسيه جمالاً) فكانت أحسن عينيه، وأحدهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رممت الأخرى.

[الدارقطني والبيهقي]. وليست النساء أقل بطولة من الرجال، فهذه (صفية بنت عبد المطلب) لما رأت المسلمين قد انهزموا، وفر بعضهم من ميدان المعركة، أمسكت رمحاً تضرب به من فر من المسلمين، وتحته على العودة إلى القتال، ولما علمت بمقتل أخيها حمزة ذهبت لتنتظر إليه، فلقيها الزيير: فقال: أي أمه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثُل بأخي، وذلك في الله، لأصبرن، وأحتسبن إن شاء الله.

فَلَمَّا جَاءَ الزَّبِيرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ،
 قَالَ: (خُلُوا سَبِيلَهَا) فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ، وَاسْتَرْجَعَتْ
 وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، [ابن إِسْحَاقَ] وَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِامْرَأَةَ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجَهَا وَأَخْوَهَا، وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا ذَكَرُوا لَهَا مَا حَدَثَ لِأَخْيَهَا وَلِأَبِيهَا
 وَلِزَوْجِهَا قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا:
 خَيْرًا، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تَحْبِبِينَ، قَالَتْ: أَرَوْنِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ،
 فَأَشَارُوا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مَصِيرَةٍ بَعْدَكَ جَلَّ (صَغِيرَةً)!!
 وَهَكُذا يُسَمِّوُ حُبَّ الْمُسْلِمِينَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ كُلِّ
 حُبٍّ، إِنَّهُ حُبٌ يَعْلُو فَوْقَ حُبِ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَزْوَاجِ.

غَزْوَةُ حَمْرَاءَ الْأَسْدِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي لِغَزْوَةِ أَحَدٍ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 النَّاسَ بِالْخُرُوجِ لِقَتْلِ الْكُفَّارِ وَتَتَّبِعُهُمْ، وَقَالَ: (لَا يَخْرُجُ مَعَنَا إِلَّا مَنْ
 شَهَدَ الْقَتْلَ) فَأَسْرَعَ الْمُسْلِمُونَ، وَأَطَاعُوا رَسُولَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، رَغْمَ مَا بَيْهُمْ مِنْ آلَامٍ وَجَرَاحٍ وَخَرَجُوا لِلْقَتْلِ اسْتِجَابَةً لِنَدَاءِ
 الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقَدْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْخَيْرَ كُلُّهُ فِي طَاعَتِهِ،
 فَمَدْحُومُهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الطَّاعَةِ فَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
 مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا}
 [آل عمران: 172]. وَفِي حَمْرَاءِ الْأَسْدِ عَلَى مَسَافَةِ عَدَةِ أَمْيَالٍ مِنْ
 الْمَدِينَةِ وَقَفَ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ جَيْشَ الْمُشَرِّكِينَ

فمن بهم رجل من قبيلة خزاعة التي كانت تحب الرسول صلى الله عليه وسلم يسمى معبد بن أبي معبد، وكان يومئذ مشركاً، فواسى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما حدث للمسلمين، وكان المشركون قد نزلوا في مكان يسمى الروحاء، وبعد أن استراح الجيش بدءوا يفكرون في العودة إلى المدينة. وأرسل أبو سفيان رسالة يهدد فيها المسلمين في حمراء الأسد ليرعبهم، يزعم فيها أنه قادم للقضاء عليهم، فما زاد ذلك المسلمين إلا قوة وإيماناً، فقال عنهم الله تعالى: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم} [آل عمران: 173-174].

ووصلت الأخبار إلى أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة لمطاردة المشركين، وتأكدت الأخبار عندما وصل معبد وأكد لأبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج لمطاردتهم وقد نزل بجيشه في حمراء الأسد فخاف أبو سفيان وفضل الانسحاب إلى مكة، وأقام المسلمون في حمراء الأسد ثلاثة أيام ينتظرون قريشاً، ثم عادوا إلى المدينة بعدما أطاعوا نبيهم، وأرعبوا عدوهم واستعادوا الثقة بأنفسهم.

بعث الرجيع

جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أناس من المشركين من قبيلتي عضل والقارة وطلبوا منه أن يرسل معهم من يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن، فاستجاب لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسل معهم عشرة من أصحابه بقيادة عاصم بن ثابت -رضي الله عنه-. لعل الله أن يهديهم، وعندما اقترب عاصم وأصحابه من قبيلة هذيل، هجم عليهم هؤلاء المشركون المخادعون، فاستشهد سبعة من المسلمين، ووقع ثلاثة في الأسر، وهم:

خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق -رضي الله عنهم-. وأخذهم نفر من قبيلة هذيل، ليبيعواهم في مكة، فأفلت عبد الله بن طارق من قيوده، فلحق به الكفار وقتلوه، وباعوا زيداً لصفوان بن أمية ليقتله ثأراً لأبيه أمية بن خلف، واجتمع كفار مكة ليشهدوا قتل زيد، فاقترب أبو سفيان منه، وقال له: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ فأجابه زيد قائلاً: والله ما أحب أن محمداً صلى الله عليه وسلم الآن في مكانه الذي هو فيه، تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً، ثم قُتل زيد.

أما خبيب فقد اشتراه عقبة بن الحارث ليقتله؛ لأنه قتل أبا الحارث بن عامر يوم بدر، وخرج به المشركون في مكان واسع،

وصنعوا له صليباً من خشب ليصلبوه عليه، فقال لهم خبيب: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا وبعد أن صلى آخر ركعتين في حياته قال لهم: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طولت جزئاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، فكان خبيب أول من سن ركعتين عند القتل، وعندما ربطوه في الخشبة توجه إلى الله تعالى، وقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحداً.

وأما عاصم بن ثابت، فقد رفض أن يستسلم للمشركين، وقاتلهم حتى قتل فأرادوا أن يأخذوا رأسه ليبيعواها لسلافة بنت سعد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين فيها الخمر، لكن النحل تجمع حول جسد عاصم فلم يقدروا على قطع رأسه، فقالوا: دعوه حتى يمسى فيذهب عنه الدبر (النحل) فنأخذه، فبعث الله سيلان في الوادي، فاحتمل عاصماً، فذهب به، وكان عاصم قد أعطى الله عهداً لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً، فحفظه الله بعد موته، ولم يسمح للمشركين بمسه.

يوم بئر معونة

رغم ما حدث للعشرة الذين قتلوا في بعث الرجيع، ما زال المسلمون يقدمون أرواحهم في سبيل نشر الدين، فقد باعوا أنفسهم لله تعالى، واشتروا بها الجنة، فقد قدم عامر بن مالك على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يرفض، وقال للرسول ﷺ:

لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك رجوت
أن يستجيبوا لك، فقال ﷺ : إني أخشى عليهم أهل نجد، فقال
عامر: أنا لهم جار (أي: سوف أحميهم).

بعثت معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من أصحابه ليدعوا قبائل
نجد إلى الإسلام، فسار الصحابة في الصحراء، وكانوا يجمعون
الحطب نهاراً ويباعونه حتى يكسبوا معاشهم، وينامون بعض الليل،
ثم يستيقظون لعبادة الله بقية ليلهم، وظلوا هكذا حتى وصلوا إلى
بئر معونة، وهناك أرسلوا أحددهم، ويدعى حرام بن ملحان -رضي
الله عنه- بر رسالة من الرسول ﷺ يدعو فيها عامر بن الطفيلي إلى
الإسلام. ولكن هذا المشرك طعن حرام بن ملحان بكل غدر وحمق
وجهالة، فصاح ذلك الصحابي -والدم يسيل من جسده الطاهر- قائلاً:
فزت ورب الكعبة، ولم يكتفي عامر بن الطفيلي بما فعله، وإنما جمع
أعوانه من الكفار، وأحاطوا بال المسلمين وهو في رحالهم، وقتلوا هم
جميعاً إلا كعب بن زيد الذي عاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً،
وكان في سرح الدعاة اثنان لم يشهدوا الموقعة الغادرة، أحدهما
عمرو بن أمية الضمري ولم يعرف النبأ إلا فيما بعد، ورجل من
الأنصار، فأقبل يدافعان عن إخوانهما، فقتل الانصاري، وأسر عمرو
بن أمية، ولكن عامر بن الطفيلي أطلق سراحه، فرجع إلى المدينة.
وفي الطريق لقي رجلين ظنهما من بني عامر فقتلهما، ثم تبين لما
وصل إلى رسول الله ﷺ أنهما من بني كلاب، وأن النبي ﷺ قد
أجارهما، فاللتزم الرسول صلى الله عليه وسلم بدفع ديتها،
حزن الرسول ﷺ وصحابته حزناً شديداً على هؤلاء الصحابة.

وظلّ الرسول ﷺ شهراً يقنت في صلاة الصبح ويُدعى على قبائل سليم، مؤجلاً الرد عليهم حتى يتخلص من أعداء المسلمين في المدينة؛ لأن خطرهم أشد، لا وهم يهود بنى النضير.

غزوة بنى النضير

كان بين يهود بنى النضير ورسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وجوار، فذهب إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ليعينوه في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية عند رجوعه من بئر معونة، فقالوا له: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت.

ثم خلا بعضهم إلى بعض، فتشاوروا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان وجوده ﷺ بينهم في ذلك الوقت فرصة قد لا تتكرر، فاتفقوا أن يصعد عمرو بن جحاش فوق بيت من بيوتهم ثم يلقي صخرة على الرسول ﷺ الذي كان يجلس إلى جدار بيت من بيوتهم ومعه أبو بكر وعمر وعلى وطائفة من أصحابه، ولكن الله تعالى أخبر نبيه بما دربه اليهود.

وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف مسرعاً من جوار الجدار ويعود إلى المدينة، والصحابة يتبعونه، وهم متعجبون لما حدث، ولا يعرفون سبب عودته بهذه السرعة، فأخبرهم الرسول ﷺ أن اليهود أرادوا أن يغدروا به، وأن الله تعالى أخبره بذلك. وهكذا نقض اليهود عهدهم، وأظهروا ما في نفوسهم من غدر وخيانة،

فكان لابد من طردتهم من المدينة، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إليهم يأمرهم بالخروج من المدينة، وحدد لهم عشرة أيام يخرجون خلالها، ومن وجد في المدينة منهم بعدها سوف يقتله المسلمون، وبعد أن هم اليهود أن يخرجوا أرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول يشجعهم على العصيان، ويعدهم بانضمام ألفين من جنوده إليهم ليدافعوا عنهم.

وإذا بهم يدخلون حصونهم، ويقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد افعل ما بدا لك، فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ست ليالٍ، وأمر بحرق زروعهم ونخلهم حتى يرعبهم، فقدف الله في قلوبهم الرعب، ولم يجدوا وفاء من المنافقين، فاضطروا إلى الاستسلام، فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يخرجوا من المدينة، ويأخذوا معهم ما حملته الإبل ما عدا السلاح. وهدم اليهود بيوتهم بأيديهم، وأخرجوا نسائهم وأبنائهم، وحملوا ما قدروا على حمله من متعاهم فوق الإبل، وهذا جزاء الخائن للعهد الذي يفكر في الغدر، فخرج بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام، وأسلم منهم يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب، فترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهما أموالهما.

غزوة بدر الثانية

حزن المسلمين على قتلاهم في غزوة أحد حزنًا شديداً، وتمنوا أن يحدث بينهم وبين كفار قريش لقاء قريب يثارون فيه لشهدائهم، وكان أبو سفيان قد واعد المسلمين على الحرب عند بدر في العام المقبل، فاستعد المسلمون لهذا اللقاء استعداداً جيداً،

وخرج المسلمون مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الموعد المحدد إلى ماء بدر، بعد أن أدوا اليهود والأعراب، وأقاموا هناك ينتظرون جيش المشركين.

وخرج أبو سفيان يقود جيش المشركين، ولكنه خاف من مواجهة المسلمين فعاد بجيشه إلى مكة بحجة أن هذا العام لا مطر فيه، وقد أجدبت الأرض، والوقت غير مناسب للحرب، أما المسلمون فظلوا هناك ثمانية أيام، عادوا بعدها إلى المدينة وقد سمعت القبائل بما حدث من انسحاب المشركين.

غزوة دومة الجندل

جاءت أخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن القبائل العربية التي تقيم حول دومة الجندل تقطع طريق المارين عليها، وتنهب أموالهم، وأنهم قد احتشدوا لمهاجمة المدينة، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في ألف من المسلمين إلى دومة الجندل، وكان يسير بالجيش ليلاً فقط حتى يفاجئ أعداءه، ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكان الأعداء فجأة، ففرت الجيوش من أمامه، وغنم المسلمون كل ما تركه الأعداء خلفهم، وفر كذلك أهل دومة الجندل، فأقام الرسول صلى الله عليه وسلم هناك أيامًا يرسل السرايا في كل ناحية، فلم يثبت أمام المسلمين أحد، وبعدها عاد المسلمون إلى المدينة.

غزوة بنى المصطلق

كانت العيون تأتي بالأخبار المسلمين عن العرب جميعاً، يراقبونهم حتى لا يفاجئوهم بحرب أو خيانة، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زعيم بنى المصطلق -وهم من اليهود- يجهز قومه للهجوم على المدينة، ولما تأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الأنباء جهز جيشه، وغزا بنى المصطلق، واتخذهم أسرى وسبايا، وكان في السبي جويرية بنت الحارث -بنت سيد بنى المصطلق-. فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتزوجها، ولما انتشر الخبر بين الناس، قالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقوا مائة أهل بيته من بنى المصطلق إكراماً لمحاورة الرسول ﷺ لهم، فكانت أكبر نعمة عليهم إلى جانب نعمة محاورة الرسول ﷺ لهم.

المنافقون في هذه الغزوة

ظهرت طبيعة المنافقين في هذه الغزوة، فبينما المسلمون يسوقون من بئر تزاحم على الماء جهجاه بن مسعود -غلام عمر بن الخطاب- مع رجل من الأنصار اسمه سنان بن وبرة حليف الخزرج، وتضاربا، وكاد الخلاف يتتحول إلى معركة فقد اختلف المهاجرون والأنصار، فهدأهم الرسول ﷺ فأطاعوه، وانتهى الخلاف.

ولكن المنافق عبد الله بن أبي اتخاذ هذه الواقعة فرصة لتفویة
الخلاف بين المهاجرين والأنصار، فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا
وكاثرنا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل:
سُنْنَنْ كُلُّكَ يَأْكُلُكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَا أَعْزَزَ
مِنْهَا الْأَذْلُ. وأراد ابن سلول طرد الرسول صلی اللہ علیہ وسلم
وال المسلمين من المدينة، وأخذ يحرّض الناس على المهاجرين،
ويأمرهم بعدم التعاون معهم أو الإحسان إليهم حتى يتركوا المدينة
ويرحلوا عنها، وسمع زيد بن أرقم كلام عبد الله، وكان زيد غلاماً
صغرياً، فأسرع إلى الرسول صلی اللہ علیہ وسلم، وأخبره بما قاله
عبد الله بن أبي، فغضب عمر -رضي الله عنه- وطلب من الرسول ﷺ
أن يقتل هذا المنافق، لكن رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم قال:
(كيف يا عمر إذا تحدث الناس إن محمداً يقتل أصحابه) [ابن سعد].
وعندما علم أسيد بن حضير بما قاله عبد الله بن أبي قال للنبي ﷺ:
فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، هو -والله- الذليل وأنت
العزيز، ثم قال : يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك،
وإن قومه لينظمون -يعدون- له الخرز (فصوحاً من الجواهر)
ليتوجوه، فإنه يرى أنك قد سلبته ملكه.

وعلم عبد الله بن أبي أن زيداً أخبر الرسول ﷺ بما قاله، فأسرع إلى
رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم يحلف له كذباً أنه ما قال شيئاً،
ودافع بعض الحاضرين عنه، فقالوا: عسى أن يكون الغلام أو هم في
حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل

وإذا بالقرآن ينزل فيفضح المنافق عبد الله بن أبي ويصدق زيد بن أرقم قال تعالى: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفروا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون: 7-8].

وكان للمنافق عبد الله بن أبي ابن مؤمن مخلص في إيمانه اسمه عبد الله أيضاً، فلما علم بذلك تبراً من أبيه، ووقف على أبواب المدينة يرفع سيفه، ويمنع أباه من دخولها، ويقول لأبيه: إن رسول الله هو العزيز وأنت الذليل، ولن تدخل حتى يأذن في دخولك، ولكن النبي ﷺ أذن له ورفض أن يقتل عبد الله والده، وقال له النبي ﷺ : (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا).

حادثة الإفك

بعد غزوة بني المصطلق، وفي طريق العودة، استراح الجيش بعض الوقت، وبعد فترة استعدوا للرحيل، وبدأ الرجال يرحلون، وذهب بعض المسلمين إلى هودج السيدة عائشة زوج الرسول ﷺ، وهو خباء يوضع على البعير فحملوه على بعيرها، وهم يظنون أنها بداخله، ولكنه كان خاليًا، فقد ذهبت السيدة عائشة -رضي الله عنها- تبحث عن عقد فقدته، فلما رجعت وجدت المكان خاليا وقد رحل القوم،

فجلست وحدها تنتظر، وكان في مؤخرة الجيش الصحابي صفوان بن المعطل -رضي الله عنه-. وكان يتاخر ليجمع ما يقع من الجنود، فلما مر بالمكان وجد السيدة عائشة جالسة فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون .. ثم أanax الجمل، وأدار ظهره حتى ركبت السيدة عائشة، وانطلق يقود الجمل حتى لحق بالمسلمين.

ووجد المنافقون فرصة لهم الكبيرة في التشنيع على أم المؤمنين والنيل من رسول الله ﷺ، فأشاروا أن صفوان بن المعطل اعتدى على السيدة عائشة واتهموها بالفاحشة، وهكذا روج المنافق عبد الله بن أبي وآخرون معه هذا الكلام البذيع، حتى صدقه بعض الناس، وأراد الله تعالى أن يختبر المؤمنين، وأن يعلمهم درساً عملياً في عدم تصديق الشائعات.

فلم ينزل الوحي بهذا الشأن شهراً كاملاً، وظل خلاله الرسول ﷺ حزيناً، وأبو بكر لا يدري ما يصنع، أما السيدة عائشة فقد عادت مريضة من الغزوة، ولزمت الفراش، ولم تعلم بما يقوله الناس، فلما علمت ظلت تبكي ليل نهار، وعندما اشتد بها المرض استأذنت من الرسول ﷺ وذهبت إلى بيت أبيها فجاءها الرسول ﷺ يطلب منها أن تستغفر الله إن كانت فعلت ذنباً، وإن كانت بريئة فسوف يبرئها الله، فسكتت السيدة عائشة عن البكاء، وقالت: لو قلت لكم إني مذنبة صدقتموني، وإن قلت لكم بريئة لم تصدقوا، والله يعلم أني بريئة، ولا أقول سوى ما قال أبو يوسف:

{فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَى مَا تَصْفُونَ} [يوسف: 18].
ونزل الوحي يبين أن السيدة عائشة -رضي الله عنها- بريئة من هذه التهمة،

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِلْفَكَ عَصْبَةً مِنْكُمْ لَا تَحْسِبُوهُ شَرًا لَكُمْ
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرَئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تُولِي
كُبُرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذِبُونَ .
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمْ يَسْكُمْ فِي مَا
أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقُونَهُ بِالسُّنْنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا
لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ قَلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمُ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا يَهْتَانُ عَظِيمَ
. يَعْظِمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمُثْلِهِ أَبْدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيَبْيَنُ اللَّهُ لَكُمْ
الآيَاتُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تُشَيَّعَ الْفَاحِشَةُ فِي
الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَإِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}
[النور: 11-20].

وعادت الفرحة إلى الرسول ﷺ والمسلمين جميعاً، وعاقب الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ اتَّهَمُوا السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ بِالْفَاحِشَةِ،
وكانوا يروجون هذا الكلام الكاذب، فأقام عليهم حد القذف ثمانين
جلدة، وكان منهم مسطوح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر، وكان أبو بكر
ينفق عليه لفقره و حاجته فأقسم لا يعطيه درهماً واحداً بعد ما قاله
في حق ابنته، ولكن الله -تعالى- أراد أن يستمر عطاء أبي بكر،
وإحسانه إلى مسطوح، فكفر أبو بكر عن يمينه، وأعطى ابن خالته ما
كان يعطيه.

غزوة الخندق

لما أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم يهودبني النضير، خرج بعض زعمائهم وذهبوا إلى مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب الرسول ﷺ، وقالوا: سنكون معكم حتى نستأصله ونقضي عليه، وقالوا لهم إن ما أنتم عليه خير من دين محمد، وفيهم نزل قول الله تعالى:

{ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجحث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدا من الذين آمنوا سبيلاً}. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً} [النساء: 51-52].

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا قبيلة غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فزاره، وبني مرّة، واستطاعت قريش واليهود أن يجمعوا جيشاً ضخماً يبلغ عشرة آلاف مقاتل، واتجهوا إلى المدينة ليقضوا على المسلمين.

ووصلت الأخبار إلى النبي ﷺ،

فقد كان ﷺ يرسل بعض المسلمين ليعرفوا أخبار الكفار، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ليتشاوروا في الأمر، فأشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي على رسول الله ﷺ بحفر خندق حول المدينة ليمنع دخول الكفار إليها، فقد كانوا يفعلون ذلك في بلاد فارس، وسيكون ذلك مفاجأة أمام كفار مكة وحلفائهم؛ لأنهم لا يعرفون هذه الحيل الحربية.

نظر المسلمين إلى مدینتهم، فوجدوها محاطة بالجبال والحسون
والدور من كل جانب ما عدا الجانب الشمالي فقط، وهو الذي
سيدخل منه الكفار، فحددوا مكان الحفر في ذلك الجانب،
وببدأ المسلمون في حفر الخندق، وكان النبي ﷺ يشارکهم العمل،
وانتهى المسلمون من حفر الخندق قبل أن تصل إليهم جيوش
الكافر، وكان رسول الله ﷺ يدعو لهم، متمثلاً ببيت من
الشعر لعبد الله بن رواحة يقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة
فيجيئه المسلمون بحماس منشدين:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينقل التراب معهم من الخندق
حتى أثر في بطنه، فقال بعض أبيات من شعر ابن رواحة -رضي
الله عنه: اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا ضلّينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن اللى قد بَغَا
 علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا [متفق عليه].

وأثناء ذلك العمل الصعب نظر الصحابي الجليل جابر بن عبد الله إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأه يربط على بطنه حجرين
ليخفف عنه ألم الجوع ويعمل، ويحمل التراب،
فأسرع جابر إلى امرأته يسألها: إن كان عندها طعام فذبحت شاة
صغريرة عندها، وطحنت كل ما عندها من الشعير، فكان مقداراً
صغيراً يكفي رسول الله ﷺ، وبعض أصحابه،

وجاء جابر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعوه سرًا إلى بيته، وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو معه المسلمين، فيذهب ألف رجل إلى بيت جابر!! والطعام لا يكفي سوى عدد قليل، فمن أين سيأكل كل هذا العدد؟!

لقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة في الطعام، فبارك الله فيه فأكل جميع المسلمين، وبقي طعام كثير لأهل البيت.
[البخاري] وهكذا كان المسلمون يتبعون ويصبرون، وعنابة الله تعالى تؤيدهم وتحرسهم، وبينما هم يحفرون وجدوا صخرة شديدة لم يستطع أحد أن يحطّمها، فلجهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فتناول المعول وضرب الصخرة ضربة فكسر ثلثها، وقال: (الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني أبصر قصورها الحمر الساعة) ثم ضرب الثانية، فكسر الثالث الآخر، فقال:

(الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض) ثم ضرب الثالثة وقال: (باسم الله) فقطع بقية الحجر فقال: (الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صناع من مكاني هذا الساعة). [أحمد وابن جرير].

وقد تحققت نبوءة الرسول ﷺ، ودخل الإسلام هذه البلاد، واستمر العمل دون تردد أو كسل حتى تحقق الأمل، وانتهى المسلمين من عملهم قبل أن يصل المشركون، واقترب جيش المشركين من المدينة، ووقفوا أمام الخندق متعجبين، وصدموا به، فهذه أول مرة يستعمل فيها العرب مثل هذه الحيل الحربية، وشعروا بالخيبة، فقد انقلب حساباتهم،

وأصبحت أعدادهم الكبيرة لا قيمة لها، وهي تقف أمام الخندق عاجزة حائرة يكاد الغيط يفتاك بها، وهم يقولون: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدوها.. ومن مكان ضيق في الخندق حاول المشركون أن يقتتحموه، ولكن سهام المسلمين انهالت عليهم كالسيل، فارتدوا خائبين، وخرج عمرو بن عبد ود من صفوف المشركين وقال: من يبارز؟ وكان عمرو بن عبد ود فارساً قوياً شجاعاً، لا يستطيع أحد أن يقف أمامه أو يبارزه؛ فلم يقف أحد لمبارزته سوى على بن أبي طالب الذي قام وقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأعطاه الرسول ﷺ سيفه، وعفّمه، ودعا له، ولما شاهده عمرو استصغر سنه، وقال له: لِمَ يابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. فرد عليه: لكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو ونزل عن فرسه، وقتل الفرس، وباز علىّا، وظلا يتبارزان، وثار الغبار فلم ير أحد منهما، وضربه على فكتله، وكبير، فعلم المسلمون أن علياً قتلها، وظل المسلمون والمشركون يتراشقون بالسهام والنبل، فقتل عدد قليل من المشركين، واستشهد بعض المسلمين.

وحدث أمر خطير للMuslimين لم يضعوه في حسبانهم، ففي جنوب المدينة اتفق يهود بني قريظة مع الكفار أن يفتحوا لهم المدينة من ناحيتهم؛ كي يضربوا ظهور المسلمين ويأسروا نساءهم وأبناءهم، وقد شعر المسلمون بهذه الخيانة، فأرسل الرسول ﷺ بعض المسلمين ليتأكدوا من الخبر، ولما تأكدوا من صحته أسرعوا في مجموعات لحماية المدينة من الداخل وحماية الأطفال من غدر اليهود وعدوانهم،

وحاولت قريش أن تقتتحم الخندق؛ لتنفذ منه إلى قلب المدينة، فوقف المسلمون لهم بالمرصاد. وكانت السيدة عائشة تقف مع أم سعد -رضي الله عنها- فمر عليها سعد بن معاذ وعليه درع لا تستر ذراعيه كليهما، وفي يده حربته، فقالت له أمه: الحق يا بني فقد -والله- تأخرت، فقالت السيدة عائشة لها: يا أم سعد، والله لو ددت أن درع سعد كانت أسبغ (أطول) مما هي عليه، وزرمي سعد بن معاذ بسهم قطع منه الأكحل (عرق في وسط الذراع) فدفعه إيمانه أن يدعوا الله قائلاً:

(اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقيني لها، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسolk، وكذبواه، وأخرجوه، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تمني حتى تقر عيني من بنى قريظة) [متفق عليه].

لقد ارتبك المسلمون من خيانة بنى قريظة التي قد تمكّن الكفار منهم، وأخذوا ينظرون إلى أنفسهم وقلوبهم متعلقة بالله -تعالى-. وقد صور القرآن ذلك الموقف فقال تعالى: {إِذْ جاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِكُمْ وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظَنُّوْنَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا} [الأحزاب: 10].

وقد أحاط المشركون بال المسلمين، فحاصروهم قريراً من عشرين ليلة، وأخذوا بكل ناحية، ووجهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة، فقاتلها المسلمون يوماً إلى الليل، فلما حانت صلاة العصر، لم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة أن يصلوا العصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بيوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَازًا كَمَا شغلوْنَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ) [مسلم].

ونظر الرسول ﷺ إلى المشركين، فوجدهم كثيرين، فأراد أن يخفف
الحصار عن المسلمين، فعرض على المسلمين أن يتافق مع قبيلة
غطفان على أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة؛ وينسحبوا من المعركة،
وبعد ذلك يتفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال قريش،
واستشار في ذلك الأمر سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وأخبرهما أن
ذلك ليس أمراً من الله تعالى يجب تنفيذه، فقال سعد بن معاذ:
يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة
الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة
إلا قرئي (ضيافة) أو بيغا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهداانا له،
وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، ولا
نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فوافق رسول الله ﷺ على ذلك، بعدما وجد من أصحابه الرغبة في
الصمود أمام أعدائه مهما كانت قوتهم، والثقة في نصر الله تعالى،
وأثبت المسلمون لهم في هذا الموقف الصعب أنهم يستحقون نصر
الله لهم، لقد سلموا أمرهم إلى ربهم، وفعلوا كل ما يقدرون عليه،
فاستحقوا نصر الله لهم.

إسلام نعيم بن مسعود

ألقى الله الإيمان في قلب نعيم بن مسعود الغطفاني وكان مع
المشركين، فاتى رسول الله ﷺ وقال له: إني قد أسلمت، وإن قومي
لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال الرسول ﷺ لنعميم:

(إنما أنت فينا رجل واحد فَخَذِلْ عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة) [ابن إسحاق].

طلب الرسول ﷺ من نعيم أن يظل في قومه ويستخدم ذكاءه في صرفهم عن المسلمين، فذهب نعيم إلى يهود بني قريظة، وكان صديقاً لهم في الجاهلية، فقال لهم: يا بني قريظة، قد عرفتكم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بممثلكم. فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرت موهם (ناصرتكم) عليه، ولدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليروا أنتم فإن رأوا نهزة (فرصة) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل بيلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه (تقاتلوه). فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم توجه إلى قريش، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتكم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، فقالوا: نفعل. قال: تعلمون أن عشرة يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم،

فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى
نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا
إليهم منكم رجلا واحداً، ثم توجه إلى قبيلة غطفان، فقال: يا معاشر
غطفان، إنكم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم
تتهموني. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمقتهم. قال: فاكتموا عني.
قالوا: نفعل، فما أمرك؟ فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مما
حذرهم. وذهب المشركون يطلبون من اليهود أن يقاتلوهم معهم
المسلمين، فطلب اليهود عدداً من الرهائن، وهنا تأكد لكل منهم صدق
نعميم بن مسعود في نصحه لهم، فرفض الكفار إعطاء الرهائن،
وامتنع اليهود عن الحرب معهم، وهكذا استطاع مسلم واحد بإرادة
الله تعالى وتوفيقه أن يشتت شمل الكفار واليهود بعدما كانوا
مجتمعين ضد المسلمين.

هزيمة الأحزاب

ونعود إلى داخل المدينة، فالمسلمون مجتمعون حول نبيهم،
يتضرعون إلى الله -تعالى- أن يذهب عنهم هؤلاء الأحزاب الذين
تجمعوا لهدم دينه، ويقولون: (اللهم استر عوراتنا، وآمن رواعتنا،
اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم
وزلزلهم) [البخاري]. فاستجاب الله تعالى لهم، وإذا بريح شديدة
في ليلة شاتية باردة تقتلع خيام المشركين، وتقلب قدور وأواني
الطعام والشراب، وكان الكون كله يحاربهم فامتلات قلوبهم بالرعب،

وأراد النبي ﷺ أن يطلع على أحوال المشركين وأخبارهم، فالتفت إلى المسلمين وقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟)

فلم يقم أحد من المسلمين من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلما لم يقم أحد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي حذيفة بن اليمان لهذه المهمة، فقام حذيفة طاعة لأمر الله ورسوله حتى دخل معسكر المشركين، وسمع أبو سفيان يدعوهם إلى الرحيل، ويقول لهم: يا معاشر قريش، لينظر كل أمرئ من جليسه؟

فأخذ حذيفة بيد الرجل الذي كان إلى جانبه، فقال له: من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معاشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكَرَاغُ (الخييل)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر (آنية طعام) ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، وكان ذلك في شوال من السنة الخامسة للهجرة. ورجع حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ

يقص عليه ما رأى، وطلع النهار، وارتحلت الأحزاب، وانفك الحصار، وعاد الأمان ونجح المسلمون في الخروج بسلام من هذه المحنـة، قال تعالى: {ورَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: 25] وهتف رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، غالب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده) [البخاري]

وقال النبي ﷺ بعد انصراف الأحزاب: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)
[البخاري]

غزوة بنى قريظة

رحل الكفار بهزيمتهم، وبقي بنو قريظة بخيانتهم للمسلمين، وقبل أن يستريح المسلمون من غزوة الأحزاب، وقبل أن يلتقطوا أنفاسهم، جاء جبريل -عليه السلام- إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال له: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد .. وإن الله -عز وجل- يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإني عاقد (ذاهب) إليهم فمزلزل بهم. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي في الناس: (لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة) [البخاري]. فأسرع ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين إلى يهود بنى قريظة، وحاصروهم في حصونهم، فلم يجد اليهود مفرّاً من المسلمين؛ ولم يجدوا ما يعتذرون به عن خيانتهم التي كادت تهلك المسلمين، لو لا توفيق الله لنعيم بن مسعود، وحاصر المسلمون حصون بنى قريظة، فملا الرعب قلوبهم، وطلبو أبا لبابة بن عبد المنذر لما بينهم وبينه من صلة، يستشيرونه أينزلون على حكم محمد؟! فقال لهم: نعم وأشار إلى حلقة، كأنه ينبههم إلى أنه الذبح، ثم أدرك أنه أفشى سراً من أسرار المسلمين، وأنه قد خان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسرع إلى مسجد المدينة، وربط نفسه إلى عمود فيه،

وحلف ألا يفك منها حتى يتوب الله عليه فقبل الله توبته؛
وعفا الرسول ﷺ عنه. واستمر الحصار خمساً وعشرين ليلة، فلما
رأى اليهود عزم المسلمين على اقتحام حصن بنى قريظة،
قالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ، وكان سعد سيد
الأوس، وهم حلفاء بنى قريظة في الجاهلية، وقد توقع اليهود أن
هذه الصلة تنفعهم، وتتوقع الأوس أيضاً أن زعيمهم سوف يتسهّل
مع حلفائهم السابقين. وكان سعد مصاباً في غزوة الخندق،
فحملوه راكباً إلى بنى قريظة، وجاء إليه قومه يوصونه بالإحسان
إلى بنى قريظة، فقال قوله الشهيرة: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله
لومة لائم، فعلم قومه أنه سيأمر بقتلهم، فنظر سعد إلى اليهود
وتذكر خيانتهم للعهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ، فأعلن حكمه
عليهم، بأن يقتل رجالهم، وتسبّي نساؤهم وأبناؤهم، وتقسم أموالهم
على المسلمين، فقال له النبي ﷺ: (لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم
الله من فوق سبع سماوات) [متفق عليه].

وهكذا كان حب سعد لدينه ونبيه أكبر مما كان بينه وبين اليهود من
مودة في الجاهلية، وهكذا انتهت غزوة بنى قريظة، ونزل قوله
تعالى: {ورَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} . وأنزل الذين ظاهروهم من
أهل الكتاب من صياصيهم وقدف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون
وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم
تطئوها وكان الله على كل شيء قديرًا [الأحزاب: 25-27].

زواج النبي بالسيدة (زينب بنت جحش)

تبني الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش، وكان الابن بالتبني له نفس حقوق الابن الأصلي، فله حق الميراث، وزوجته تحرم على أبيه الذي تبناه، فأراد الله أن يمنع تلك العادة، وأن ينسب الابن إلى أبيه، فشاء الله - سبحانه - ألا تستمر الحياة الزوجية بين زيد والسيدة زينب - رضي الله عنهم - . فوّقعت بينهما جفوة وشقاق، وكلما هم زيد بتطليقها نهاد صلى الله عليه وسلم، وقال له: أمسك عليك زوجك.

ثم طلقها زيد، ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج السيدة زينب - رضي الله عنها - . وبذلك بطلت عادة التبني، وما كان ينتج عنها من أمور تخالف الدين، قال تعالى: {إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياهم إذا قضاوا منها وطرا وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً . الذين يبلغون رسالات ربهم ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفي بالله حسيباً . ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً} [الأحزاب: 37-40].

سرية نجد

في شهر المحرم من العام السادس الهجري خرجت سرية من المسلمين إلى بني بكر، فهرب بنو بكر خوفاً من المسلمين، وتركوا أنعامهم وإبلهم، فأخذها المسلمون، وبينما المسلمون عائدون وجدوا أمامهم ثمامة بن أثال، ولم يكن قد أسلم بعد، فقبض عليه المسلمون، وعندما وصلوا المدينة ربطوه في أحد أعمدة المسجد، وعندما رأى ثمامة الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يطلقه مقابل ما يريد من المال، وقال له: إن تقتل تقتل ذا دم (أي: رجلاً له مكانة في قومه وسوف يتذارون له) وإن تنعم تنعم على شاكر (أي رجل يعرف لك جميلاً ويكافئك عليه). فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأطلق سراحه، فانصرف ثمامة، ولكنه عاد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه، وقال:أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، وذهب ثمامة إلى مكة، فلما عرفوا أنه قد أسلم قالوا له صبوت (أي: فارقت دينك)؟

قال: لا والله .. ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة (قمح) حتى يأذن فيها النبي ﷺ . ومرت الأيام، وأحاط الجوع بقريش، واحتاجت إلى القمح، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يأمر ثمامة بإرسال القمح إلى قريش، ورغم أن قريشاً حاصرت الرسول وقومه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، وأذاقوهم عذاب الجوع، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الإساءة بالإحسان ورفض تعريض قريش للجوع، وأمر ثمامة أن يبيع لهم القمح.

غزوة بنى لحيان

لكي لا يتجرأ الكفار على المسلمين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان يريد بنى لحيان، وقد أظهر أنه متوجه إلى الشام؛ ليواجه القوم ولينتقم من الذين غدروا بأصحابه يوم الرجيع، فلما سمعت هذه القبائل الغادرة بمقدمه هربت إلى الجبال، ومكث المسلمون يومين، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض فرسانه قريباً من مكة؛ لتسمع بهم قريش، وليعلموا بما حدث فيزدادوا خوفاً ورعباً من المسلمين، ثم عاد المسلمون إلى المدينة.

صلح الحديبية

في العام السادس من الهجرة، وفي شهر ذي الحجة، خرج رسول الله ﷺ من المدينة متوجهاً إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وخرج معه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب، وليس معهم من السلاح إلا السيوف، وقد ساقوا معهم الهدى (الذبائح)؛

ليظهروا حسن نيتهم ويعلموا أهل مكة أنهم جاءوا حاجين إلى البيت وزائرين له، ولم يأتوا لحرب أو قتال، بل لأداء العمرة. ووصل الخبر بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة، فإذا بقريش تفور من الغضب والغيط، فكيف يتجرأ المسلمون على المجيء إليهم، ودخول مكة بهذه السهولة؟! فلا بد من صدّهم ومنعهم من دخولها، وتعاهدوا على لا يدخلها النبي صلى الله عليه وسلم والذين معه، وخرجت خيلهم يقودها خالد بن الوليد؛ لمنع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة.

وتعجب رسول الله ﷺ من وقوف قريش في وجه من قصد زيارته الكعبة، فقال: (أشيروا علي أيها الناس) فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تزيد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. فقال ﷺ: (امضوا على اسم الله) وعقد العزم على الجهاد، ولكنه لم يرد الصدام مع قريش، فقال ﷺ: (من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها)

فقال رجل: أنا يا رسول الله. فسلك بال المسلمين طريقاً غير الذي
خرجت إليه جيوش المشركين. [ابن إسحاق].

وبينما ركب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يسير بأمر الله
تعالى بركت الناقة التي يركبها الرسول صلى الله عليه وسلم في
مكان قريب من مكة يسمى الحديبية، فقال الصحابة: خلات
القصواء (اسم ناقة الرسول ﷺ) خلات القصواء .. فقال ﷺ :
(ما خلات القصواء وما ذلك لها بخلق، لكن حبسها حابس الفيل)
[البخاري] وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لا
يريد له دخول مكة، ولا الصدام مع قريش في ذلك الوقت،
فقرر التفاوض مع قريش في شأن دخول المسلمين مكة لزيارة
البيت الحرام، وقال: (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون
فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) [ابن إسحاق].

وعند بئر الحديبية تجمع المسلمين حول النبي صلى الله عليه وسلم
وقد أصابهم العطش، فماء البئر قليل لا يكفيهم، فشكوا للنبي صلى
الله عليه وسلم، فجلس صلى الله عليه وسلم على حافة البئر،
وتوضأ، ثم صب الماء في البئر، فكثر الماء وظلوا يشربون وتشرب
إبلهم حتى تركوا الحديبية ورحلوا. [البخاري].

أما قريش فقد أصابهم الفزع بعدما تأكدوا أن النبي صلى الله عليه
 وسلم عازم على دخول مكة، فأرسلوا إليه رسلاً يستوضحون الأمر،
 وكان أول الرسل بديل بن ورقاء الخزاعي، فقال له الرسول صلى
الله عليه وسلم: (إنما لم نجئ لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين .. يا
 ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب،

ما زالوا عليهم لو خلوا بيضي وبين سائر العرب، فإنهم أصايبوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (يقصد: الموت) [ابن إسحاق].

وكان آخر الرسل عروة بن مسعود الثقفي عم الصحابي المغيرة ابن شعبة، وإذا به يقف مبهوراً من طاعة المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتماسكهم وقوتهم، فعاد إلى قومه يقول لهم:

أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى وقيصر والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد مهداً، والله ما تَنْحَمْ (بصدق) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وما يحدُون النظر إليه تعظيمًا له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ليشرح لقريش ما يريد المسلمين، وإذا بالمشركين يعرضون على عثمان أن يطوف وحده بالبيت، ولكنه رفض أن يطوف وحده دون المسلمين، فاحتسبته قريش عندها، فلما طالت غيابته ظن المسلمون أن الكفار قتلواه، فاجتمعوا حول نبيهم صلى الله عليه وسلم وبايدهم على القتال حتى الاستشهاد في سبيل الله، وفيهم نزل قوله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً} [الفتح: 18] شروط الصلح: وعلمت قريش بهذه النية، فخافت وأطلقت عثمان على الفور.

وأرسلت سهيل بن عمرو، وكان رجلاً فصيحاً عاقلاً يجيد التفاوض،
فَلَمَّا رَأَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما جاء سهيل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلما طويلاً ثم جري بينهما الصلح،
فاتفق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على:
- أن يرجع المسلمون هذا العام ويعودوا في العام القادم.
- وأن تتوقف الحرب بينهما لمدة عشر سنوات.
- وأن من أراد أن يتحالف مع المسلمين فله ذلك، ومن أراد التحالف
مع قريش فله ذلك.

- وأن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم من جاء إليه من قريش دون
إذن وليه، ولا ترد قريش من يأتيها من المسلمين.

وعند سماع عمر بهذه الشروط أتى أبو بكر فقال: يا أبو بكر أليس
برسول الله؟ قال: بلي. قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال:
أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلي. قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا؟
قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه، فإنيأشهد أنه رسول الله. قال عمر:
وأناأشهد أنه رسول الله. [متافق عليه].

ثم دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب وقال له اكتب: بسم الله
الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك
اللهم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم.
فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل
بن عمرو. فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن
اكتب اسمك واسم أبيك. فقال ﷺ: اكتب. هذا ما صالح عليه محمد
بن عبد الله،

سهيل بن عمرو. فرفض على أن يمحو كلمة رسول الله بعد ما كتبها، فمحاها الرسول ﷺ بنفسه. [متفق عليه].

وبهذا الصلح دخلت قبيلة خزاعة في عهد المسلمين ودخلت قبيلة بني بكر في عهد المشركين، وقبل أن يوقع الرسول ﷺ على كتاب الصلح إذا بأبي جندل بن سهيل بن عمرو يأتي مسلماً، فلما رأه أبوه سهيل؛ قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بثيابه، ثم قال: يا محمد، قد لجت القضية (أي حسمت) بيدي وبينك قبل أن يأتي هذا. قال: صدقت.

فأخذ سهيل يجر ابنه ليمرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا عشر المسلمين، أرد إلى المشركين يفتونني في ديني؟ فقال ﷺ: (يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيتهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإننا لا نغدر بهم) [ابن إسحاق] وغضب المسلمون من هذا الصلح، فقد بدأ الشروط في أعينهم ظالمة، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني) [البخاري]. ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتابة المعاهدة، قال للMuslimين: (قوموا، فانحرروا) وقالها ثلاثة، فلم يقم أحد، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم، ودخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بذنك، وتدعو حالتك فيحلقك. فقام الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج فلم يكلم أحداً حتى نحر بذنه،

ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحرروا إبلهم، وجعل بعضهم يحلق لبعض. [أحمد].

ولكن هل التزم المسلمون والمشركون بشروط هذه المعاهدة؟ لقد ضاق المسلمون المعذبون في مكة بمقامهم بعيداً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وال المسلمين في المدينة، ففر منهم أبو بصير عبيد الله بن أسيد، وهاجر إلى المدينة يبغي المقام فيها مع المسلمين، فأرسلت قريش وراءه اثنين من رجالها، ليعودا به إليها تنفيذاً لشروط الصلح، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا أبو بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك) [ابن إسحاق].

وحزن أبو بصير وقال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين ليفتوني في ديني؟ فلم يزد النبي صلى الله عليه وسلم عن تكرار رجائه في الفرج القريب، ثم أرسل أبو بصير مع القرشيين ليعودوا جميعاً إلى مكة، فاحتال أبو بصير أثناء الطريق على سيف أحد الحارسين وقتله به، ففر الآخر مذعوراً، ورجع إلى المدينة يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما وقع من أبي بصير، وإذا بأبي بصير يطلع شاهراً السيف يقول: يا رسول الله، وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وامتنعت بديني أن أفتنه أو يبعث بي، فقال صلى الله عليه وسلم: (ويل أمه (كلمة مدح) مُسْقَر حرب (أي مشعل حرب) لو كان معه رجال) [أحمد]. وأدرك أبو بصير أنه لا مقام له في المدينة، ولا مأمن له في مكة،

فانطلق إلى ساحل البحر في ناحية تدعى (العيص) وشرع يهدد قوافل قريش بطريق الساحل وسمع المسلمون بمكة عن مقامه، فتلحقوا به حتى اجتمع إليه نحو سبعين ثائراً كان منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وكونوا جيشاً ضيقاً على قريش فلا يظفر بأحد إلا قتله، ولا تمر بهم قافلة إلا اقتطعوها، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشدنه أن يُؤوي إليه هؤلاء فلا حاجة لها بهم. وبذلك نزلت قريش عن الشرط الذي أملته تعنتاً وقبله المسلمون كارهين، وهذا هو أول الفتح على المسلمين، فقد تأكد لهم بعد ذلك أن المعاهدة كانت لصالحهم، وأنها أتاحت لهم فرصة لنشر دينهم بعيداً عن الانشغال بالحرب مع قريش.

إسلام أبي العاص بن الربيع

وعندما كان أبو جندل وأبو بصير وأصحابهما في المكان الذي اجتمعوا فيه عند ساحل البحر، مرت بهم قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت الرسول ﷺ، وكانت قد فارقته؛ لأنها كان مشركاً، وهاجرت وحدها إلى المدينة. فهاجم أبو جندل ومن معه القافلة وأسرورهم وأخذوا ما معهم من أموال، ولم يقتلوا منهم أحداً إكراماً لأبي العاص، وأخلوا سبيله، فقدم أبو العاص المدينة واستجار بزينب، فكلمت زينب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب قائلاً:
إنا صاهرنا أناساً، وصاهرنا أبا العاص، فنعم الصهر وجدناه، وإنه
أقبل من الشام في أصحاب له من قريش، فأخذهم أبو جندل وأبو
بصير، وأخذوا ما كان معهم، ولم يقتلوا منهم أحداً، وإن زينب بنت
رسول الله سألتني أن أجيرهم، فهل أنتم مجبرون أبا العاص
وأصحابه؟) فقال الناس: نعم. فلما بلغ أبو جندل وأصحابه قول
الرسول صلى الله عليه وسلم أطلقوا من كان عندهم من أصحاب
أبي العاص ورددوا إليهم أموالهم.

ثم خرج أبو العاص حتى قدم مكة، فأدى إلى الناس بضائعهم، ثم
أعلن إسلامه، وعاد أبو العاص إلى المدينة مسلماً، فرد إليه الرسول
صلى الله عليه وسلم زوجته زينب -رضي الله عنها-.

غزوة خيبر

لم يهدأ يهود خيبر عن الكيد ضد الإسلام، فكؤنوا جبهة معادية
للمسلمين، واستمالوا قبيلة غطفان والأعراب المجاورين لهم في
شمال المدينة، فخرج النبي (علي رأس جيش لتأديبهم والقضاء
على خطرهم. وكانت تلك الموقعة الرابعة بين المسلمين واليهود،
فال الأولى كانت مع يهودبني قينقاع، والثانية معبني النضير، والثالثة
معبني قريظة. وبينما كان المسلمون يسيرون في الطريق إلى خيبر،

أخذ عامر ابن الأكوع ينشد ويقول:
 اللهم لولا الله ما اهتدينا *** ولا تصدقنا ولا صلينا
 فاغفر فداء لك ما اقتفيانا *** وثبت الأقدام إن لاقينا
 وألقين سكينة علينا *** إنا إذا صبح بنا أتينا
 وبالصبح غَوْلوا علينا ***

فقال رسول الله (: "من هذا السائق؟" قالوا: عامر بن الأكوع.
 قال: يرحمه الله. [متفق عليه].

وأراد الرسول (أن يقسم جبهة الأعداء المؤلفة من اليهود وغطفان،
 فأوهم غطفان أن الهجوم متوجه إليها، فرجعوا إلى ديارهم بعد أن
 خرجموا ليينضموا إلى اليهود في خيبر. وهكذا نجحت خطة النبي
 في عزل اليهود عن حلفائهم المشركين).

فلما أشرف رسول الله (على خيبر قال لأصحابه: فقوا. ثم تضرع
 إلى الله بهذا الدعاء: "اللهُمَّ رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين
 وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإننا
 نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعود بك من
 شرها وشر أهلها وشر ما فيها".

ووصل المسلمون إلى حدود خيبر ليلاً، فمنعهم إيمانهم من أن
 يهاجموا أعداءهم فجأة بليل فانتظروا حتى الصباح، وفي الصباح
 خرج اليهود إلى مزارعهم، ففوجئوا بالمسلمين يحيطون بيبلدهم،
 فأسرعوا إلى حصونهم وهم يصرخون: محمد والله، محمد
 والخميس (الجيش).

فقال رسول الله (: "الله أكْبَرْ خربت خيبر، إنا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ
فَسَاءَ صَبَاحَ الْمُنْذَرِينَ" [متفق عليه].

وشنّ المسلمون هجوماً قوياً على حصن خيبر المشيدة، فسقطت
في أيديهم حصناً بعد حصن، حتى لم يبق منها غير حصن قليلة
قوية اعتصم بها اليهود، وصعب فتحها على المسلمين،
فقال رسول الله ﷺ :

"لأعطيين الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله".
فبات الناس يتساءلون: أيهم يعطاهما؟ فلما أصبحوا تطلعوا إلى
أخذها. فقال النبي (: "أين علي بن أبي طالب؟" فقيل: هو يا رسول
الله يشتكي عينيه. قال: " فأرسلوا إليه".

فأتى به، فبصق رسول الله (في عيني علي ودعا له، فشفى حتى
كان لم يكن به وجع، فأعطاه الرأبة، فقال (: "انفذ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَنْزَلَ
بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى إِسْلَامٍ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقٍّ
الله تعالى، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من خمر
النعم" [متفق عليه]. ثم خرج عليٌّ فقاتل، فكان الفتح على يديه ولم
يبق إلا حصنان، ظلّ المسلمون يحاصرونهما، حتى أيقن من فيهما
بالهلاك، فطلبو أن يخرجوا ويتركوا الأموال مقابل أن يتركهم
المسلمون، فوافقهم الرسول على ذلك.

ثم سألوا رسول الله (أن يبقى خيبر تحت أيديهم يعملون فيها
ويزرعون؛ لأنهم أعرف بأراضيهم ولهم نصف ما يخرج منها،
فصالحهم رسول الله (على ذلك، وقال لهم: "على أنا إن شئنا أن
نخرجكم أخر جناتكم" [متفق عليه]. فأقرروا بذلك.

وبعد أن صالحهم رسول الله (ص)، أهدت إليه امرأة منهم شاة مشوية وكانت قد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله (ص)؟ فقيل لها: الذراع. فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة وجاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (ص) تناول الذراع، فأوحى الله -عز وجل- إليه بأنها مسمومة. فجمع النبي (ص) اليهود فقال لهم: "إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟" فقالوا: نعم. قال لهم النبي (ص): "من أبوكم؟". قالوا: فلان. فقال: "كذبتم، بل أبوكم فلان". قالوا: صدقت. قال: "فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟" فقالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: "هل جعلتم في هذه الشاة شماماً؟" قالوا: نعم. قال: "ما حملكم على ذلك؟" قالوا: إن كنت كاذباً تستريح، وإن كنتنبياً لم يضرك. [البخاري].

زواج الرسول ﷺ من السيدة صفية

وتزوج الرسول في هذه الغزوة السيدة صفية بنت حبي بن أخطب زعيم اليهود، وكانت من الأسرى فأعتقها رسول الله ﷺ بعد أن أسلمت، وتزوجها وجعل مهرها عتقها.

يهود فدك

وبعد أن انتصر المسلمون على اليهود في خيبر، بقي يهود فدك وتيماء ووادي القرى، أما يهود فدك فقد أرسل إليهم الرسول (يدعوهم إلى الإسلام، وعندما علموا بهزائم إخوانهم في خيبر صالحوا الرسول على ما صالحه عليه أهل خيبر.

يهود وادي القرى

انطلق المسلمون إلى يهود وادي القرى، فتتابعت عليهم السهام من حصون اليهود. فأصيب خادم الرسول بسهم فقتله، فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة. فقال الرسول (لهم: "بلى، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغامن لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً" [متفق عليه]. فقد سرق ذلك الخادم قطعة قماش من مغامن خيبر، وسوف يُعذب بها في قبره.

وببدأ المسلمين يرتبون صفوفهم ويقفون أمام الحصون، وإذا برجل من اليهود يخرج لمبارزة المسلمين، فانطلق إليه الزيير بن العوام -رضي الله عنه- فقتله فتتابع بعده اليهود وكلما خرج يهودي قتله مسلم بتوفيق الله، ثم ما لبتو أن استسلموا، فصالحهم المسلمون على صلح مثل صلح خيبر.

يهود تيماء

فرع يهود تيماء من هزائم اليهود المتتالية في فدك، وخيبر، ووادي القرى، فعرضوا على المسلمين الصلح دون أية مقاومة، فصالحهم الرسول (كصلح أهل خيبر، وأخذ منهم الجزية وتركهم في أرضهم وأموالهم. وبذلك أمن الرسول (جانب اليهود وتفرغ لنشر دين ربه الذي أمره به.

عودة المهاجرين من الحبشة

بعد خمسة عشر عاماً من الغربة والفارق الطويل في بلاد الحبشة، والبعد عن رسول الله (، قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان معه في الحبشة إلى المدينة في العام السابع الهجري، فامتلأت قلوبهم بالسعادة حينما رأوا كثرة المسلمين، ونصر الرسول (على أعدائه، وكانت سعادة النبي (غامرة حين رأهم واطمأن عليهم، وقيل: إن الرسول (من فرط سروره قال: "والله ما أدرى بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر" [الحاكم والطبراني]. مما يدل على أنه فرح فرحاً شديداً بعودة المسلمين من الحبشة.

وكان من ضمن المهاجرين القادمين من الحبشة الأشعريون الذين ينتسب إليهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري هو وبعض قومه يريدون الرسول (في المدينة، وركبوا سفينه من اليمن، لكن الرياح ألت بهم نحو الحبشة، وهناك التقوا بجعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين، وكان الله تعالى أرسل إليهم هؤلاء الناس ليكونوا أنسانا لهم في غربتهم فأقاموا هناك، حتى عادوا سوياً وانضموا إلى صفوف المسلمين في المدينة.

عمره القضاء

في العام السابع الهجري، أصبح للمسلمين الحق في دخول مكة للعمره حسب اتفاقيهم مع قريش في العام السابق، فخرج رسول الله (ومعه ألفان من المسلمين) ودخلوا مكة حاملين سيفهم، وأخذوا يطوفون حول الكعبه في عز وقوه، حتى قال أهل مكة من الكفار، وهم ينظرون في دهشة إلى المسلمين وقوتهم:

هؤلاء هم الذين قلتم: إن خمئي المدينة أضعفthem! [أحمد]

و قضى المسلمون عمرتهم ثم خرجوا من مكة بعد ثلاثة أيام احتراماً للاتفاق الذي عقدوه في صلح الحديبية مع كفار قريش، وسميت هذه العمره بعمره القضاء؛ لأن المشركين صدوا رسول الله (عام الحديبية عن البيت الحرام، فكان مجئه في العام التالي لقضاء ما فاته. وبينما الرسول (وحوله أصحابه عائدون، إذا بفتاه تخرج من مكة، تجري خلفهم وتنادي رسول الله (قائلة: يا عم. يا عم.

إنها ابنة حمزة سيد الشهداء الذي استشهد في أحد،

فأخذها علي بن أبي طالب، وسلمها إلى السيدة فاطمة زوجته، وإذا بزيد بن حارثة وجعفر يتنافسان على أيهما أحق بكفالتها.

فقال جعفر: ابنة عمي وخالتها زوجتي.

وقال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي. وقال زيد: ابنة أخي؛

لأن النبي (قد أخى بين زيد وحمزة). فحكم النبي

(بأن تكون مع جعفر وزوجته. وقال: "الخالة بمنزلة الأم" [البخاري].

وفي هذه العمرة تزوج الرسول (من السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية - رضي الله عنه).

إسلام عمرو بن العاص

أمام انتصارات الإسلام المتتالية، وازدياد قوة المسلمين يوماً بعد يوم، وقف عمرو بن العاص مع نفسه، فهداه تفكيره إلى أن يرحل إلى الحبشة ويراقب من هناك صراع الإسلام مع المشركين من قريش، فإذا انتصر المسلمون كان آمناً، وإذا انتصر الكفار عاد إليهم. وبينما عمرو بن العاص يستعد للدخول إلى النجاشي ملك الحبشة إذا به يرى عمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - خارجاً من عنده، فلما دخل عمرو على النجاشي قال له: أيها الملك إن قد رأيت رجلاً يخرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا.

فغضب النجاشي، ولطم أنفه بضربة شديدة، حتى ظن عمرو أن أنف النجاشي قد كسرت، وارتعد عمرو من الخوف، لكنه تماسك وقال للنجاشي: أيها الملك! والله، لو ظننت أنك تكره هذا ما سألكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟ فقال عمرو: أيها الملك، أكذاك هو؟ فقال النجاشي: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق، ولি�ظهرن على من خالقه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجندوه. فقال عمرو: أفتبايني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط عمرو يده،

فبایعه على الإسلام. فلما قدم عمرو المدينة ذهب إلى رسول الله (ص) لي Bai'ah و قال لرسول الله (ص): يا رسول الله إني أبایعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. فقال رسول الله (ص): "يا عمرو بابع، فإن الإسلام يجث (يهدم) ما كان قبله، وإن الهجرة تجث ما كان قبلها" [ابن إسحاق] فأسلم عمرو، وكان إسلامه في العام الثامن الهجري.

إسلام خالد بن الوليد

وقف خالد بن الوليد بعد صلح الحديبية حائزاً، فقد فطن إلى أن النصر سيكون لل المسلمين على قريش، وببدأ يفكر في مكان يذهب إليه. وعندما وصل المسلمون مكة في عمرة القضاء، ومعهم الوليد بن الوليد أخو خالد، ظل الوليد يبحث عن أخيه خالد، فلما لم يجده ترك له رسالة، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسول الله (ص) عنك فقال: "أين خالد؟" فقلت: يأتي الله به. فقال: "مثله جهل الإسلام! ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين، لكان خيراً له، ولقدمناه على غيره". فاستدرك يا أخي ما فاتك من مواطن صالحة.قرأ خالد هذه الكلمات الصادقة، فانشرح صدره للإسلام وتوجه إلى رسول الله .

وفي الطريق، التقى بعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة فتوجهوا معاً إلى المدينة وقد جمع الإسلام بين قلوبهم، فلما رأهم الرسول أشرق وجهه بابتسمة عذبة، وبايعهم على الإسلام.

غزوة مؤته

في العام الثامن الهجري، أرسل رسول الله (الحارث بن عمير الأزدي - رضي الله عنه) إلى أمير بصرى؛ ليدعوه وقومه إلى الإسلام، فطغى أمير بصرى وأتباعه، وقتلوا هذا الصحابي الجليل، فغضب رسول الله (وال المسلمين من هذا الغدر وهذه الخيانة، وجهز جيشاً من ثلاثة آلاف جندي؛ لتأديب هؤلاء القوم، وجعل رسول الله (زيد بن حارثة قائداً على الجيش، فإن قتل فجعل عذراً [البخاري])

وانطلق الجيش حتى بلغ الشام، وفوجئ المسلمين بأن جيش الروم يبلغ مائتي ألف مقاتل، فكيف يواجهونه بثلاثة آلاف مقاتل لا غير؟ وقف عبد الله بن رواحة الأسد، يشجع الناس ويقول لهم: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون.. الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور (نصر) وإما شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس وقد امتلأت قلوبهم ثقة بالله - سبحانه -.

ورغم هذا الفارق الكبير في العدد، حيث إن كل مسلم منهم يواجه وحده حوالي سبعين مشركاً، فقد دخلوا في معركة حامية وهم مشتاقون إلى الشهادة، والموت في سبيل الله.

والتقى الجيشان، وقاد زيد بن حارثة جيش المسلمين، وهو يحمل راية رسول الله

(حتى استشهد -رضي الله عنه-، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب، واشتدت المعركة، فنزل جعفر عن فرسه وعقرها (قطع أرجلها) حتى لا يأخذها أحد الكفار فيحارب عليها المسلمين، وحمل جعفر الراية بيديه فقطعت، فأخذها بشماله فقطعت، فاحتضنها ببعضديه حتى استشهد -رضي الله عنه-، فحمل الراية عبد الله بن رواحة، ووجد في نفسه بعض التردد، فتحت نفسه على الجهاد بقوله: أقسمت يا نفس لتنزلن أو لتكرهنه إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكريهن الجنة وقاتل حتى استشهد في سبيل الله. عندئذ كان لابد من أن يبحث المسلمون عن قائد يدير المعركة بعد استشهاد القادة الثلاثة، فاتفق الناس على خالد بن الوليد.

فقد خالد -رضي الله عنه- أولى تجاربه العسكرية التي يخوضها بعد إسلامه. فوجد الفرق كبيراً بين عدد المشركين وعدد المسلمين، ولابد أمامه من الحيلة حتى لا يفني المسلمون جميعهم، ويحافظ على جيشه سليماً، فكان يقاتل الأعداء كأسد جسور، وكلما انكسر في يده سيف أخذ سيفاً آخر، حتى انكسرت في يده تسعة أسياف. وعندما جاء الليل وتوقف القتال، أخذ خالد يعيد ترتيب جيش، فجعل الميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، والمقدمة مؤخرة.

وفي الصباح نظر الروم إلى المسلمين، فوجدوا الوجوه غير وجوه الأمس، فظنوا أن المسلمين قد جاءهم مدد، فخافوا وارتعدوا، وفرزوا خائفين رغم كثتهم، فلم يتبعهم المسلمون، لكنهم عادوا إلى المدينة. فقابلهم الصبية وهم يرمون التراب في وجوههم؛ لأنهم تركوا الميدان ورجعوا،

وكان يعيرونهم قائلين: يا فرار، أفررتكم في سبيل الله؟
ولكن رسول الله (كان يعلم المأذق الذي كان فيه جيشه فقال لهم:
"ليسوا بالفرار ولكنهم الكلار إن شاء الله" [ابن سعد].
وأطلق على خالد بن الوليد في هذه المعركة سيف الله المسلط،
تقديراً لذكائه وحسن تصرفه الذي أنقذ به المسلمين من الهلاك
المحقيق.

سرية ذات السلاسل

رأينا شجاعة خالد بن الوليد وعقريته في غزوة مؤتة،وها هو ذا
عمرو بن العاص يخرج على رأس جيش من المسلمين في جمادى
الآخرة من العام الثامن الهجري؛ لتأديب القبائل الموالية للروم قرب
بلاد الشام، وهناك بجوار ماء يسمى (السلاسل) أقام المسلمون
يتظرون المدد من رسول الله (، وإذا بجيش كبير يقبل عليهم فيه
أبو بكر وعمر ويقوده أبو عبيدة بن الجراح الذي أوصاه رسول الله
صلوات الله وسلامه (بعدم الخلاف مع عمرو بن العاص)
ولما جاء وقت الصلاة أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فمنعه عمرو،
وقال: إنما قدمت على مدداً وأنا الأمير. فأطاع له أبو عبيدة حتى لا
يكون سبباً في الفرقة بين المسلمين.
وانطلق المسلمون خلف قائدهم تحت راية الإسلام، يطاردون القبائل
التي تشكل تهديداً للمسلمين، ففروا منهزمين أمامهم. وقد أظهرت
هذه المعارك كفاءة عمرو الحربية، وأدخلت الرعب في نفوس
الأعداء.

فتح مكة

بعد صلح الحديبية انضمت قبيلة بكر لقريش ، وانضمت قبيلة خزاعة لحلف المسلمين . وكان بين بني بكر وقبيلة خزاعة ثارات في الجاهلية ودماء ، وذات يوم تعرضت قبيلة خزاعة لعدوان من قبيلة بكر الموالية لقريش ، وقتلوا منهم نحو عشرين رجلاً . ودخلت خزاعة الحرم للنجاة بنفسها ، ولكن بني بكر لاحقوهم وقتلوا منهم في الحرم . فجاء عمرو بن سالم الخزاعي الرسول ﷺ يخبرهم بعدوان قبيلة بكر عليهم ، وأنشد لرسول ﷺ شعراً : يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا إنه قريش أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقي المؤكدا فانصر رسول الله نصراً اعتدا وادع عباد الله يأتوا مددأ فقال له رسول الله عليه وسلم : " نصرت يا عمرو بن سالم ، والله لامعنكم مما أمنع نفسي منه " . ودعا الله قائلاً " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها " . وندمت قريش على مساعدتها لبني بكر ، ونقضها للعهد ، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة ليصلاح ما فسد من العهد ، ولكنه عاد خائباً إلى مكة . وأخذ رسول الله عليه وسلم يجهز الجيش للخروج إلى مكة . فحضرت جموع كبيرة من القبائل . ولكن حدث شيء لم يكن متوقعاً من صحابي . وهو أن الصحابي حاطب بن أبي بلتعة كتب كتاباً بعث به إلى قريش مع امرأة ، يخبرهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ ، وأمرها أن تخفي الخطاب في ضفائر شعرها حتى لا يراها أحد . فإذا الوحي ينزل على رسول الله عليه وسلم بما صنع حاطب ،

فبعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ليلحقا بالمرأة . وتم القبض عليها قبل أن تبلغ مكة ، وعثرا على الرسالة في ضفائر شعرها . فلما عاتب النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً اعتذر أنه لم يفعل ذلك ارتداداً عن دينه ، ولكن خاف إن فشل رسول الله عليه وسلم على أهله والذين يعيشون في مكة . فقال عمر : " يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق " . فقال رسول الله عليه وسلم : " إنه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرأ فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " . وكان حاطب من حارب مع رسول الله عليه وسلم في غزوة بدر . فعفا عنه ، وتحرك جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ إلى مكة في منتصف رمضان من السنة الثامنة للهجرة . وبلغ عددهم نحو عشرة آلاف مقاتل . ووصلوا " من الظهران " قريباً من مكة ، فنصبوا خيامهم ، وأشعلوا عشرة آلاف شعلة نار . فأضاء الوادي .

وهناك تقابل العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان . فأخذه العباس إلى رسول الله ﷺ . فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : " ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ " . فقال العباس : " والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد " . قال رسول الله ﷺ : " ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله ؟ " فقال : " أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً " . وبعد حوارٍ طويلٍ دخل أبو سفيان في الإسلام . وقال العباس : " إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً . فقال الرسول ﷺ : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن " .

وأراد الرسول ﷺ أن يري أبا سفيان قوة المسلمين ، فحبسه عند مضيق الجبل . ومرت القبائل على راياتها ، ثم مر رسول الله ﷺ في كتبته الخضراء . فقال أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة . ثم رجع أبو سفيان مسرعاً إلى مكة ، ونادى بأعلى صوته : " يا عشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به . فمن دخل داري فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن " . فهرع الناس إلى دورهم وإلى المسجد . وأغلقوا الأبواب عليهم وهم ينظرون من شقوصها وثقوبها إلى جيش المسلمين ، وقد دخل مرفوع الجبار . ودخل جيش المسلمين مكة في صباح يوم الجمعة الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة . ودخل رسول الله ﷺ مكة من أعلىها وهو يقرأ قوله تعالى : ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)) واستسلمت مكة ، وأخذ المسلمون يهتفون في جنبات مكة وأصواتهم تشق عناء السماء : الله أكبر .. الله أكبر . وتوجه رسول الله ﷺ إلى الحرم ، وطاف بالكعبة ، وأمر بتحطيم الأصنام المصفوفة حولها . وكان يشير إليها وهو يقول : ((وقل جاء الحق وذهب الباطل إن الباطل كان زهوقاً)) وبعد أن طهرت الكعبة من الأصنام أمر النبي عليه الصلاة والسلام بلاً أن يؤذن فوقها . ثم قال رسول الله ﷺ : " يا عشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ " قالوا : " خيراً . أخْ كريم وابن أخْ كريم " . فقال عليه الصلاة والسلام : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " . فما أجمل العفو عند المقدرة ، وما أحلى التسامح والبعد عن الانتقام . ولننظر ما فعل الغالبون بالمغلوبين في الحربين العالميتين في قرتنا هذا ،

قرن الحضارة كما يقولون ، لنعلم الفرق ما بين الإسلام والكفر .
وهكذا ارتفعت راية الإسلام في مكة وما حولها ، وراح الناس
ينعمون بتوحيد الله

غزوة حنين

تجمعت قبائل هوازن وثقيف التي تسكن قريباً من مكة في أعداد كثيرة؛ يريدون قتال المسلمين، وكان قائدهم مالك بن عوف قد أمرهم بحمل أموالهم وأبنائهم ونسائهم معهم كي لا يفروا ويتركوا ساحة المعركة. وأمر مالك جيشه أن يختبئوا على مداخل وادي حنين، فإذا ظهر المسلمون هجموا عليهم مرة واحدة.

وأقبل النبي (ومعه اثنا عشر ألف مسلم، واغتر المسلمين بكثرتهم، فظنوا أنهم لن يهزموا أبداً، فأراد الله تعالى أن يعطيهم درساً عظيماً، وبين لهم أن الكثرة وحدها لا تحقق النصر، فقد وقعوا في المكيدة التي دبرها لهم مالك بن عوف، وانهال عليهم المشركون بالسهام من كل ناحية، فانهزموا، وفرّوا، وإذا بالنبي (يثبت أمام الكفار وينادي المسلمين: "إليّ يا عباد الله، أنا محمد بن عبد الله، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" [متفق عليه].

وأخذ العباس عم النبي (ينادي الناس، فتجمع المسلمين حول النبي (صالحين: لبيك. لبيك. وانهالوا على الكفار يقتلونهم، فقال (: "الآن حمي الوطيس" [مسلم]. ثم أخذ بيده الشريفة حصيات من الأرض، فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: "انهزموا ورب الكعبة" [مسلم]. وقدف الله في قلوب المشركين الرعب، فانهزموا،

وفر قائدتهم مالك بن عوف تاركاً أمواله وأهله، وتوجه هو ورجاله إلى الطائف. وغنم المسلمون أربعة وعشرين ألفا من الغنم، وستة آلاف أسير، وكثيراً من الفضة.

وانتظر الرسول (هوازن بضعة عشر يوماً، ربما أتت إليه مسلمة معتذرة فيرد لهم أموالهم، لكنهم لم يأتوا، فوزعها على المسلمين. ثم توجه المسلمون إلى الطائف، للقضاء على ثقيف ومن فرّ من هوازن، وحاصروا حصنها خمس عشرة ليلة، اكتشفوا خلالها أن المشركين يستطعون الصمود خلف الحصن عاماً كاملاً بما لديهم من غذاء ومؤنة، فأمر (المسلمين بالرحيل، ودعا لثقيف قائلاً: "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم مسلمين" [الترمذى].

فاستجاب الله لنبيه (وجاء وفد ثقيف مسلماً. وقدم وفد هوازن من أسلموا وسألوه أن يرد عليهم أموالهم وسيبئهم، فقال : "اخთروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال" ، فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا، فالحسب أحب إلينا، فقال (للمسلمين: "إن إخوانكم قد جاءوا تائبين، وإنني رأيت أن أراد سبئهم، فأذنوا في ذلك فأعيدهوا إلى هوازن سبيها" [البخاري].

غزوة تبوك

فتحت مكة، وانتشر الإسلام في جزيرة العرب، وأصبح يشكل خطراً على الروم، فرأى الروم أن يجهزوا جيشاً لقتال المسلمين. فكان لابد للMuslimين من الخروج إليهم، ولكن الحر شديد، والسفر إلى أرض الروم طويل، والناس في عسرة،

وثار المدينة حان وقت حصادها، وفي ظل هذه الظروف كلها، كان القرار الحاسم، فقد أعلن الرسول (علي الناس الخروج لقتال الروم، وهذه فرصة ليظهر المنافقون أمام المجتمع المسلم، ويثبت المسلمون الصادقون في إسلامهم.

وتتسابق المسلمين في فعل الخير، وتجهيز الجيش الذي سمي بجيش العسرة، فجاء عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بنصف ماله، فقال رسول الله (ما أبقيت لأهلك؟). قال: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: "يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟". فقال: "أبقيت لهم الله ورسوله. [الترمذى]، وجاء عثمان بن عفان إلى النبي (بألف دينار، فوضعها في حجر النبي (فجعل يقبلها بيده، ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم" [الترمذى].

وفي الوقت نفسه كان المنافقون يختلفون الأعذار حتى لا يشاركون في هذه الغزوة، وأخذوا يرجون لأفكارهم فيما بينهم، ويقولون: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: (قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقرون) [التوبه: 81]. وتحرك جيش المسلمين في شهر رجب من العام التاسع الهجري رغم الحر والتعب تاركين المدينة، وما بها من ثمار وظلال؛ طاعة لله ورسوله.

وفي الصحراء، اشتد الحر ونفد الماء، فدعا النبي (ربه، وظل رافعًا يديه، فأرسل الله سحابة أمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء. ووصل الجيش بسلام إلى تبوك، فنزل الرعب بقلوب الأعداء، فتفرقوا وانسحبوا داخل بلادهم، ولم يقدروا على محاربة المسلمين. فبعث الرسول (خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب حصن دومة، وقال له: "

إنك ستتجده يصيّد البقر".

وفي ليلة مقمرة، وقفت بقرة جميلة تحك بباب القصر فنزل إليها الملك ليصيّدتها، وركب فرسه، وأخذ رمحه، وخرج مع بعض من أهله، فلما خرجوا كانت رسول النبي (تنتظره، فأخذته، وقتلوا أخيه، وقدم خالد بن الوليد ومعه أكيذر أسيراً، فصالحه الرسول على الجزية، ثم تركه وخلى سبيله وعاد إلى قريته.

عاد الرسول (بالجيش مظفراً متصراً بعد أن حقق أهداف غزوه دون قتال، وبينما هم في طريقهم إلى المدينة قال (: "إن بالمدينة أقواماً، ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم".

قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: "وهم بالمدينة، حبسهم العذر" [متفق عليه]. وخرج هؤلاء المسلمين الصادقون الذين حبستهم الأعذار عن الخروج في الغزو يستقبلون الرسول (والجيش بالفرحة الشديد. أما المنافقون المتخلفون عن الجهاد، فقد أخذوا يقدمون الأعذار الكاذبة لرسول الله (، فقبل منهم علانيتهم، وترك سرائرهم لله تعالى. وكان من بين الذين تخلفوا عن الغزو كعب بن مالك، ومرارة بن الريبع، وهلال بن أمية، وهم من المؤمنين الصادقين، ولكنهم لم يخرجوا مع النبي لقتال الروم،

ولم يكن لهم عذر. جاء كعب بن مالك وسلم على النبي (فتبرّس له النبي (تبسم المغضب، وقال: "تعال" قال كعب فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما الذي خلفك؟ ألم تكن قد ابتعدت (اشتركت) ظهرك (دابتوك)؟" فقلت: بل، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيتك أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً،

ولكني والله لقد علمت إن حدثتك حديث كذب ترضى به عنِّي،
ليوش肯 الله أن يسخطك علىِّي، ولئن حدثتك حديث صدق تجدُّ علىِّي
فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما
كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله (ﷺ):
"أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك".

فقمت وثار رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: "والله ما
علمناك كنت أذنبت ذنبياً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت
إلى رسول الله (ﷺ) بما اعتذر إليه المتخلفوْن، قد كان كافيَك ذنبيك
استغفار رسول الله (ﷺ). قال: فوالله ما زالوا يُؤْثِبونِي حتى أردت
أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا:
نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من
هما؟ قالوا: مرارة بن الزبيع القرمي، وهلال بن أمية، فذكروا لي
رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة.

فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله (ﷺ) المسلمين عن كلامنا
من بين من تخلف عنه. فاجتبينا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في
نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبيتنا على ذلك خمسين ليلة،
فأما أصحابي فاستكانا وقعدا في بيتهما يبكيان، وأما أنا فكنت
أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين،
وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله (ﷺ) فأسلم
عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك
شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا
أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عنِّي.

حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسوزت جدار حائط أبي قتادة (أي: تسلقت جدار بستانه)، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أشدك بالله، هل تعلم أنني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له، فنשادته فسكت، فعدت له فنشادته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.

في بينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له،

حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه:
أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التئور (الفرن) فسجرته بها (حرقتها). حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول من قبل رسول الله (يأتيني فقال: إن رسول الله (يأمرك أن تعتزل امراتك. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا. ولكن اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لأمراتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر. فجاءت امرأة هلال بن أمية، رسول الله (فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا، ولكن لا يقربيك". قالت: إنه والله ما به حرفة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استاذنت رسول الله

(في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. فقلت والله لا
أستأذن فيها رسول الله (، وما يدرني ما يقول رسول الله (إذا
استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. فلبث بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت
لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله (عن كلامنا.

فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا، فبینما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليَّ
نفسی وضاقت على الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ ينادي
بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. فخررت ساجداً وعرفت أن قد
جاء فرج. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي،
فكسوته إياهما بشراه، والله ما أملك غيرهما، يومئذ واستعرت
ثوبي فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله (، فيلقاني الناس فوجاً
فوجاً، يهئوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة الله عليك. حتى دخلت
المسجد، فإذا رسول الله جالس، وحوله الناس، فقام إلى طلحة بن
عبد الله يهروي حتى صافحني وهناني، والله ما قام إلى رجل من
المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلاحة.

فلما سلمت على رسول الله (قال رسول الله (وهو يبرق وجهه من
السرور: "أبشر بخير يوم طلعت فيه الشمس منذ ولدتك أمك" قلت:
أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: "لا، بل من عند الله".
وكان رسول الله (إذا سر استئنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف
ذلك منه. فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله. إن من توبتي
أن أخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: "أمسك عليك
بعض مالك،

فهو خير لك قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبيث. فقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ

(أحسن مما أبلاغي، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله) إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت.

وأنزل الله على رسوله (: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذي اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيع قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجاً من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليбоوا إن الله هو التواب الرحيم) [التوبة: 117-118].

فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط -بعد أن هداني للإسلام- أعظم في نفسي من صدقى لرسول الله (أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم ل تعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس وما واهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) [التوبة: 95-96]. وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله (حين حلفوا له، فباعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله) (أمرنا حتى قضى الله فيه، وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه فقبل منه. [البخاري]).

هدم مسجد الضرار

عاد المسلمين من تبوك، وإذا بالنبي (يأمرهم بحرق مسجد بناء المنافقون ليدبروا فيه المكائد ضد المسلمين، وأرادوا أن يصلوا فيه النبي (، ولكن الله تعالى نهاد عن ذلك، فقال تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضرراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ليحلفوا إن أردنا إلا الحسنة والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً) [التوبه: 107-108].

دعوة الملوك إلى الإسلام

بدأ رسول الله (يبعث برسائله إلى ملوك وحكام العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام، فأرسل (إلى النجاشي ملك الحبشة عمرو بن أمية الضمري، فوضع النجاشي الرسالة على عينيه، ونزل عن سريره تواضعاً واحتراماً له واعتنقاً الإسلام وقال: لو كنت أستطيع أن آتىه لأتيته. وأرسل إلى المقوقس حاكم مصر حاطب بن أبي بلتعة، فأحسن المقوقس استقباله، وأعطاه هدايا كثيرة للنبي (وجاريتين، وبغلة، وطبيباً، ولكنه لم يدخل الإسلام خوفاً على ملكه. وأرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم، فسلمه دحية كتاب النبي (الذي يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم،

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعائية الإسلام،
أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم
الأريسيين (عامة الشعب)،

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا
الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله فإن
تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون) [آل عمران: 64] [البخاري].

فجمع هرقل وزراءه وحاشيته وقال لهم: يا معاشر الروم، هل لكم في
الفلاح والرشد، وأن يثبت ملکكم فتباعدوا هذا النبي (؟ فثارت
الحاشية، ورفعوا الصليب وأعلنوا عصيانهم، فلما رأى هرقل ذلك
يئس من إسلامهم، وخاف على نفسه وملكه، فقام بتهديتهم، ثم قال:
إني قلت مقالتي آنفًا لأخبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت.
فسجدوا له، ورضوا عنه. [البخاري].

أما كسرى ملك الفرس، فقد بعث إليه النبي (بكتاب مع عبد الله بن
حدافة، وأمن بالله وقد جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من
محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع
الهدى، وأمن بالله ورسوله، وشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله، وإنني أدعوك بدعاء الله، وإنني رسول الله إلى الناس كافة
لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، وإن
توليت فإنما إنما المجروس عليك" [ابن إسحاق].

فمزق كسرى الرسالة، وأرسل لنائبه على اليمن يأمره بأن يرسل
رجلين يأتيانه بمحمد (، ووصل الرجالان لتنفيذ المهمة، وإذا بالنبي
يخبر الرجالين أن الله مزق ملك كسرى كما مزق كتابه، وعاد الرجالان
إلى اليمن فوجد أن كسرى قد قتله ابنه، فدخلوا في الإسلام.

مجئ الوفود إلى الرسول

في العام التاسع الهجري أقبلت وفود العرب من كل مكان إلى المدينة لتباعيع رسول الله (عليه دخول الإسلام، وعلى السمع والطاعة. وكان رسول الله (يرسل مع كل وفد من يعلمهم أمور الدين، ويجمع منهم الزكاة ويوزعها على فقرائهم.

وجاء وفد ثقيف الذين تركهم المسلمون في غزوة الطائف، ودعا رسول الله (لهم بالهدایة. جاءوا بأنفسهم من غير قتال إلى المدينة، بعد أن رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من المسلمين فبایعوا كلهم وأسلموا، وأرسلوا وفداً منهم يرأسهم كنانة بن عبد ياليل، فلما قربوا من المدينة قابلهم المغيرة بن شعبة، فاستقبلهم وعلمهم كيف يحييون الرسول (عند دخولهم عليه). وأنزل رسول الله (وفد ثقيف في المسجد، وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، ومكت الوفد أياماً يذهبون إلى رسول الله (، ويذهب إليهم ليعلمهم مبادئ الإسلام، وكان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء فيقف عليهم يحدّثهم، وكان في هذا الوفد عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، فكانوا إذا ذهبوا إلى مجلس رسول الله (تركوه على رحالهم. فكان عثمان كلما رجع الوفد وناموا وقت الظهيرة، ذهب إلى رسول الله (فسأله عن الدين، واستقرأه القرآن، وذهب إليه عثمان على ذلك مرات كثيرة، وكان إذا وجد رسول الله (نائماً ذهب إلى أبي بكر، وكان يكتم ذلك عن أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله وأحبه. وأخيراً دخل الإسلام أفتدعهم،

ولكن كنانة بن عبد ياليل قال لرسول الله (: أفرأيت الزنا فإنما قوم نغترب ولا بد لنا منه؟). قال: "هو عليكم حرام، فإن الله يقول: (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) [الإسراء: 32]. قالوا: أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟ قال: "لكم رءوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرموا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) [البقرة: 278].

قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها؟ قال (: إن الله حرمتها، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأذالم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) [المائدة: 90]. وسألوه أيضاً أن يضع عنهم الصلاة، فقال رسول الله (لهم: "لا خير في دين بلا صلاة" [ابن إسحاق].

وخلال بعضهم إلى بعض يتشارون في الأمر ثم عادوا إلى رسول الله (، وقد خضعوا لذلك كله، ولكنهم سألوه أن يترك لهم وثنيهم (اللات) الذي كانوا يعبدونه ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى رسول الله (ذلك، فما زالوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سأله شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها إلى أي أجل، فقالوا للرسول: فتول أنت إذن هدمها، فاما نحن فإننا لا نهدمها أبداً.

فقال لهم: "سأبعث لكم من يكفيكم ذلك". ثم استأذنوا النبي (، فأذن لهم، وأكرمهم وحياتهم، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام، وكان قد تعلم سورة من القرآن قبل أن يخرج. [ابن إسحاق] وبعث رسول الله (إليهم وفداً على أثرهم، أمر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة وأبو سفيان بن حرب، فعمدوا إلى اللات فهدموها،

وخرجت نساء ثقيف مكسوفات الرأس، يبكيهن عليها ويرثينها، وكلما ضربها المغيرة بفأسه كان أبو سفيان يسخر من الصنم ويصانع حزن تلك النسوة الالاتي يندبن ويبكيهن عليه واهًا لك أهًا لك.

[ابن إسحاق] وقدمت وفود كثيرة المدينة،

ودخلت في دين الله أفواجاً وجماعات، قال الله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) [النصر].

إرسال الولاة والأمراء إلى قبائل العرب

أخذ النبي (يرسل أمراءه وولاته إلى قبائل العرب يدعونهم، ويعلمونهم الإسلام، الذي انتشر في شبه الجزيرة العربية. وكان من أرسلهم معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، وهو أعلم الناس بالحلال والحرام، بعثه إلى اليمن، وقال له: "يا معاذ، لعلك لا تلقاني بعد عامي هذا". [أحمد]، فبكى معاذ خشية فراق النبي (.

حج أبي بكر الصديق بالناس

جاء موسم الحج من العام التاسع الهجري، فأمر الرسول (أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- أن يحج بالناس، ونزلت الآيات الأولى من سورة التوبة، يعطي الله فيها للمشركين مهلة أربعة أشهر ليتوبوا ويؤمنوا بالله، وإلا قتلوا؛ لتخليص مكة وما حولها من الشرك البغيض).

وأما من كان له عهد أطول من هذه المدة، وكان حافظاً لعهده مع المسلمين، يوفّى له بمدة العهد، وهكذا وضع الإسلام حدّاً للوثنية في هذه الأرض الطاهرة، قال تعالى: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين) [التوبه: 1-2].

ونهى العرب عن الطواف بالبيت الحرام وهم عراة، فقد كان بعضهم يفعل ذلك، ولكن الرسول (أمر أن يكون هذا العام آخر عام يحج فيه المشركون مع المسلمين، فقال: "الا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان"). [البخاري].

حجّة الوداع

في العام العاشر الهجري حجّ الرسول ﷺ مع أمته حجّ الوداع؛ ليعلم الناس مناسك الحج في الإسلام. ووقف رسول الله ﷺ بين جموع المسلمين وهم حوالي مائة ألف مسلم يعظهم ويرشدهم وهذا ربيعة بن أمية بن خلف ذو الصوت القوي العالي يبلغ عن رسول الله (حتى يسمع الجميع، وكان مما قاله رسول الله (: "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا" [مسلم]. ونهاهم عن الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وأوصى الرجال النساء، يكرمونهن ويحسنون إليهن. ثم قال:

"وأنتم تُسألون عنِّي، فما أنتم قائلون؟" قالوا: إنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال ثلث مرات: "اللهم فاشهد" [مسلم].

وبينما رسول الله (يتحدث إلى الناس، كان هناك رجل يبكي بكاء شديداً، إنه أبو بكر الصديق حبيب رسول الله (، وأحب صحابته إلى قلبه، فقد أحس بقرب أجل رسول الله (، فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله.

جيش أسامة

وفي شهر صفر من العام الحادي عشر جهز الرسول (جيشاً كبيراً لتأديب الروم، وأراد رسول الله (أن يعلم المسلمين درساً عظيفاً في القيادة، فولى على الجيش أسامة بن زيد بن حارثة -رضي الله عنه-، وهو لم يبلغ العشرين من عمره؛ ليعطي الفرصة للشباب في تولي المهام الصعبة، وتدريبهم على تحمل المسؤولية، برغم أن جيش المسلمين كان به كبار الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة بن الجراح، وغيرهم الكثير -رضي الله عنهم أجمعين-.

وضرب الجيش معسكراً خارج المدينة، ولكنه عاد بعد أن علم بمرض رسول الله

مرضه صلوات الله عليه وسلم ووفاته

أصابت الحمى الرسول صلوات الله عليه وسلم ، وظل يعاني منها أيامًا، فأمر أبو بكر الصديق أن يصلّي بالناس، وكان إذا خرج إلى المسجد استند إلى الفضل بن العباس، وعلي بن أبي طالب. وفي بيت عائشة -رضي الله عنها-

اشتد به الوجع، صداعا في رأسه وكان قد شعر بقلق أصحابه وحزنهم عليه، فأمرهم أن يصبوا عليه من سبع قرب مليئة بالماء لم يكشف غطاوها، لعله يستطيع الخروج إلى الناس فقال: "أهريقوا علي من سبع قرب لم تحل أو كيثن لعلي أعهد إلى الناس" [متفق عليه].

قالت عائشة -رضي الله عنها-: فأجلسناه في مخضب (الشيء الذي يغسل فيه الثياب)، ثم طفقنا نصب عليه من تلكقرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن.

ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبه، وكان عاصباً رأسه، فجلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم. ثم قال: "عبد خيرٌ بين أن يؤتى زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عنده". فبكى أبو بكر -رضي الله عنه-. إذ علم ما يقصده النبي ﷺ، وناداه قائلاً: فديناك بأبائنا وأمهاتنا، فقال: "على رسلك يا أبا بكر. أيها الناس، إن من الناس على في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخدًا خليلاً لاتخذت أبو بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، وإن فرط لكم، وأنا شهيد عليكم. وإنني والله ما أخاف أن تشركوا من بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها" [متفق عليه]. وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته، واشتد به وجعه، وثقل عليه مرضه، وكان إلى جواره قدح به ماء، يغمس فيه يده، ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: "اللهُمَّ أعني على سكرات الموت" [الترمذى والنسائي].

وكانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت:

"الصلاه وما ملكت أيمانكم". حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيف بها لسانه. [ابن ماجة وأحمد] ودعا رسول الله فاطمة ابنته فحدثها سرًا فبكى، ثم حدثها فضحته، فقالت عائشة لها: ما هذا الذي سأرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى، ثم سأرك فضحتك؟ قالت: سارني فأخبرني بموته فبكى، ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحتك. [متافق عليه]. وفي صلاة صبح يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة، رفع الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الستر المضروب على منزل عائشة، فنظر إلى أصحابه وهم يصلون، فسره اجتماعهم ووحدة كلمتهم، ونظر إليه الناس، فاطمأنوا عليه، وظنوا أن صحته قد عادت إليه، ولكنها كانت نظرة الوداع، فما إن حل الضحى حتى خرجت روحه الطاهرة إلى خالقها سبحانه وتعالى.

قالت فاطمة -رضي الله عنها-: يا أبا إبراهيم! أجاب ربنا دعاه. يا أبا إبراهيم! جنة الفردوس مأواه. يا أبا إبراهيم! إلى جبريل ننعاه. [البخاري]

وتسرب النباء الأليم في المدينة، فأظلمت جنباتها بعد أن أشرقت، وسعدت بحياة رسول الله ﷺ على أرضها. لقد كان حادثاً مؤلماً مفجعاً، فها هو ذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم يصدق الخبر عندما سمعه، فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، وإن رسول الله ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة. ثم رجع بعد أن قيل قد مات. والله ليرجعن رسول الله ﷺ

فليقطعن أيدي رجال وأرجلهن يزعمون أنه مات! وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء دخل على الرسول ﷺ في بيته عائشة وهو مغطى في ناحية ، فكشف وجهه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي.. أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن يصيبك بعدها موت أبداً. ورد التوب على وجهه، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: على رسلك يا عمر.. فأنصت. لكن عمر ما زال ثائراً، فلما رأه أبو بكر كذلك، أقبل على الناس، وشرع يتكلم، فلما سمعه الناس انصرفوا عن عمر وأقبلوا عليه.

وحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس.. من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفناد مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران: 144].

لقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن بقيت شريعة الله، وسنة رسوله بين المسلمين، ما بقيت السماوات والأرض ضياء وهدى لكل من استضاء واهتدى.

ولكن ماذا بعد موت رسول الله ﷺ؟ هل يتفرق المسلمون؟ ويعود العرب إلى كفرهم وأوثانهم؟ لا.. لقد تسلم راية الإسلام رجال الإسلام الذين تخرجوا في مدرسة الرسول ﷺ، وفي مسجده. وكان أول خليفة للمسلمين أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-. الذي تسلم الراية وبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الإسلام

من الشمائل النبوية

- كان ﷺ خلقه القرآن (رواه مسلم)
- كان ﷺ أجود الناس (رواه مسلم)
- كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها (متفق عليه)
- كان ﷺ أحب الثياب إليه القميص (رواه أبو داود والترمذى)
- كان ﷺ يقبل الهدية ويكافئ عليها (رواه البخارى)
- كان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك (رواه مسلم)
- كان ﷺ إذا تكلم أعادها ثلاثة حتى تفهم عنه (رواه البخارى)
- كان ﷺ لا يرد الطيب (رواه البخارى)
- كان ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله (متفق عليه)
- كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه وشماله لما سوي ذلك (رواه أبو داود)
- كان ﷺ يسلم على الصبيان (متفق عليه)
- كان ﷺ يعد له أصحابه في المجلس الواحد الإستغفار مائة مرة (رواه أبو داود)
- كان ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث (رواه مسلم)
- كان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال «استغفروا لأخيكم وسلو له التثبيت فإنه الآن يسأل» (رواه أبو داود)
- كان ﷺ إذا دخل علي أهله بالليل يسلم تسليماً لا يوقظ النائم ويسمع اليقظان (رواه مسلم)

- كان صلوات الله وسلامه إذا قام من الليل يشوش فاه (متفق عليه) الشوش: الدلك
- كان صلوات الله وسلامه أكثر دعاؤه « اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه يحب أن يخرج يوم الخميس إذا أراد السفر (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه إذا علا ثنية كبر وإذا هبط سبح (رواه البخاري)
- كان صلوات الله وسلامه إذا قدم من سفربدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه إذا كان في سفر لا يطرق أهل ليلة وكان يأتيهم غدوة أوعشية (متفق عليه). الغدوة: أول النهار. العشية: آخر النهار.
- كان صلوات الله وسلامه إذا حزبه أمر فزع للصلاحة (رواه أبو داود)
- كان صلوات الله وسلامه يصلى من الليل مثني مثني ويوتر بر克عة من آخر الليل (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه يصلى من الليل إحدى عشرة ركعة (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلاتها من النهار (رواه مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه إذا قام من الليل افتح صلاته برکعتين خفيفتين (مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه يقوم حتى تتفطر قدماه (رواه مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه يصلى ركعتين خفيفتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح (متفق عليه)

- كان صلوات الله وسلامه إذا صلي الفجر تربع في مجلسه حتى تخرج الشمس حسناء (رواه مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي » (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات.
- ومسح بهما جسده (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه يصوم شعبان إلا قليلاً (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاواخر منه ما لا يجتهد في غيره (رواه مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه إذا كان يوم عيد خالفة الطريق(رواه البخاري)
- كان صلوات الله وسلامه يذكر الله علي كل أحيانه (رواه مسلم)
- كان صلوات الله وسلامه يتغىظ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء (متفق عليه)
- كان صلوات الله وسلامه إذا اشتكي نفث على نفسه بالمعوذات(رواه البخاري)
- كان صلوات الله وسلامه يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم »
- كان صلوات الله وسلامه يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها (رواه البخاري)
- كان صلوات الله وسلامه يكثر أن يقول قبل موته: « سبحان الله وبحمده، استغفر لله، وأتوب إليه » (متفق عليه).

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٣	المقدمة
٤	أسماؤه
٤	نسبه
٤	أمه
٥	حمله
٥	مولده
٥	رضاعه
٥	وفاة والده
٦	وفاة والدته
٦	صفاته
٦	من معجزاته
٧	أبناؤه الذكور
٧	أبناؤه الإناث
٧	أعمامه
٨	أحوال العرب قبل الإسلام
١١	جده هاشم وحكاية الترید
١١	جده عبدالمطلب وحكاية الكنز
١٢	حكاية الأبناء العشرة
١٣	أبوه عبدالله وزواجه المبارك من السيدة آمنة

١٤	حكاية الفيل
١٥	ميلاد الرسول وطفولته
١٥	حكاية مرضعة الرسول ﷺ
١٦	حكاية شق الصدر
١٧	رحلة محمد ﷺ مع أمه إلى يثرب
١٨	محمد ﷺ في كفالة جده عبد المطلب
١٨	محمد ﷺ في كفالة عمه أبي طالب
١٩	رحلة إلى الشام
٢٠	شبابه ﷺ
٢٠	التاجر الأمين
٢١	زواج محمد ﷺ من السيدة خديجة
٢٢	بناء الكعبة وقصة الحجر الأسود
٢٣	الوحي
٢٤	حكاية ورقة بن نوفل
٢٥	عودة الوحي
٢٥	الدعوة إلى الإسلام سراً
٢٧	مرحلة الدعوة الجهرية
٣١	إسلام عمر بن الخطاب
٣٢	الهجرة إلى الحبشة
٣٥	المقاطعة
٣٧	عام الحزن
٣٧	زواج الرسول ﷺ من السيدة سودة
٣٨	رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف
٤٠	الإسراء والمعراج
٤٢	موسم الحج

٤٣	بيعة العقبة الأولى
٤٣	بيعة العقبة الثانية
٤٥	الهجرة من مكة الى المدينة
٤٥	المؤامرة
٤٧	أحداث الهجرة
٥٢	الرسول ﷺ في قباء
٥٤	الرسول في المدينة
٥٥	بناء المسجد
٥٧	الصلح بن الاوس والخزرج
٥٧	المؤاخاة
٥٨	اليهود في المدينة
٦٠	زواج الرسول ﷺ من السيدة عائشة
٦١	مرحلة الجهاد
٦٢	سرية سيف البحر
٦٢	سرية رايع
٦٢	سرية الخرار
٦٣	غزوة الأبواء (ودان)
٦٣	غزوة بواط
٦٤	غزوة بدر الأولى
٦٤	سرية نخلة
٦٥	تحويل القبلة
٦٧	غزوة بدر الكبرى
٦١	أحداث المعركة
٧٤	مواقف إيمانية من غزوة بدر
٧٦	حالة قريش بعد بدر

٧٧	مؤامرة عند الكعبة
٧٩	غزوة بنى سليم (غزوة الكلذر)
٧٩	اليهود ونقض العهد
٨١	طرد يهود بنى قينقاع من المدينة
٨٢	قتل كعب بن الأشرف اليهودي
٨٣	غزوة السويق
٨٤	سرية زيد بن حارثة
٨٥	غزوة ذات الرقاع
٨٦	غزوة أحد
٩١	صور بطولية من المعركة
٩٤	غزوة حمراء الأسد
٩٦	بعث الرجيع
٩٧	يوم بئر معون
٩٩	غزوة بنى النضير
١٠٠	غزوة بدر الثانية
١٠١	غزوة دومة الجندل
١٠٢	غزوة بنى المصطلق
١٠٢	المنافقون في هذه الغزوة
١٠٤	حادثة الإفك
١٠٧	غزوة الخندق
١١٢	إسلام نعيم بن مسعود
١١٤	هزيمة الأحزاب
١١٦	غزوة بنى قريظة
١١٨	زواج النبي بالسيدة (زينب بنت جحش)
١١٩	سرية نجد
١٢٠	غزوة بنى لحيان

١٢١	صلح الحديبية.....
١٢٧	إسلام أبي العاص بن الربيع.....
١٢٨	غزوة خيبر.....
١٣١	زواج الرسول ﷺ من السيدة صفية.....
١٣٢	يهود فدك.....
١٣٢	يهود وادي القري.....
١٣٣	عودة المهاجرين من الحبشة.....
١٣٣	يهود تيماء.....
١٣٤	عمره القضاء.....

* * *

الكاتبة: شيماء ربيع تمام
اللقب: ساجدة لله

السلام على قلوبكم حتى تطمئن يتحدث
كتابي عن السيرة النبوية، فيه كل شيء عن
حبيب القلب محمد تقرأه وكأنك تعيش معه
وهذا حبأ له ولكي لا ننسى حبيبنا وقد وداها
محمد

"قلبي في حب محمد متيم"

